الفصل السادس

الإعلام

وصدام الحضارات

1 ـ استراتيجية الإعلام الصهيوني .
2 ـ الإعلام الصهيوني والدور الإرهابي في أمريكا والغرب .
3 ـ الإعلام وإشكالية المصطلح في صدام الحضارات .
(الصراع العربي الصهيوني نموذجاً) .
4 ـ الإعلام العربي والقضية الفلسطينية .
5 ـ كيف يفهم الإعلام الغربي العلاقة بين العرب والمسلمين وفلسطين؟

أولاً: استراتيجية الإعلام الصهيوني:

يلعب الإعلام اليوم دوراً بارزاً في حياة الشعوب وعلاقاتها ببعضها، فإما أن يكون مؤججاً لصدام حقيقي بينها، أو أنه يلعب دوره في الحوار وتقريب البشر من بعضهم.

ولما كانت العقلية الصهيونية اليهودية عقلية عنصرية تكره الآخرين فقد كان إعلامها وما زال محرضاً على الكره بين الشعوب، بل وتأجيج العداء وخلق حالات من التوتر الذي قد يؤدي إلى الصدام المسلح.

ولما كان الصهاينة أيضاً ضد أي حوار مع الشعوب أو بينها فقد كرس منظرو الصهيونية الإعلام في خدمة الحرب والدمار، وصدام الحضارات، والصراع بين الشعوب.

فالإعلام يشكل في العقلية اليهودية أحد أهم الوسائل في تحقيق الأهداف التوسعية والتحكم بمقدرات الشعوب والكيانات العالمية، والسيطرة على الاتجاهات الفكرية والنفيسة لكثيرين من قادة الفكر في العالم ولا سيما العالم الغربي منه.

وليس التفكير بوسيلة الإعلام وليد العصر الحديث، إنما هو يمتزج بالنسيج النفسي والعقلي للشخصية اليهودية عبر التاريخ.

فعبر دراسة هذه الشخصية اليهودية في التوراة المحرفة من جهة، وفي القرآن الكريم والتاريخ من جهة أخرى نكتشف أن عوامل عدة صنعت في الشخصية اليهودية عقدة متأزمة ظلت تسري في العقل الباطني اليهودي منذ آلاف السنين وحتى وقتنا الحاضر، هذه العقدة هي تحريف الحقيقة وتبني الكذب كجزء هام جداً من أساليب التعامل مع الوجود البشري والوجود الكوني بشكل عام.

وقد لعب حاخامات اليهود ومفكروهم الدور الأبرز في حقن الشخصية اليهودية بمقولة خطرة هي لا حقيقة في الوجود إلا حقيقة اليهود وهذه المقولة رددها جابوتنسكي الزعيم اليهودي العنصري المعروف منذ مائة عام.

وإذا كان مفهوم الإعلام قد تطور نظرياً وعملياً فإن مضمونه لا يبتعد كثيراً عما كان عليه اليهود في الماضي الغابر فهو نسق فكري ونفسي تلبس الشخصية الصهيونية

وتلبسته حتى بات من الواضح أن هذا النسق إذا حاولنا تخليصه من بنية الشخصية اليهودية فإننا نقضي عليها، فمن الصعب فصل الشخصية اليهودية عن مكوناتها وخاصة المكونات الفكرية والنفسية.

لقد قدم الكثيرون تعاريف عدة للإعلام، وإذا حاولنا تعريفه في السياق اليهودي وجدنا أنه وسيلة نقل المعلومة كاذبةً وجعل الحق باطلاً، والباطل حقيقة، ووسيلته الخداع، وحسب المصلحة اليهودية فالكبير يصبح صغيراً والصغير يجري تكبيره حتى يصبح هالة وهمية مخيفة، ونستطيع أن نقول: إذا أراد أي مخلوق أن يتعلم فن الخداع والكذب فما عليه إلا أن يتبنى أساليب الإعلام اليهودي قديمها وحديثها، ويبدو أن كل أساليب التعامل التخاطبي التي اكتسبها اليهود عبر التاريخ أصبحت جزءاً من حياتهم يصعب التخلص منها.

تحريف القول وتغليف الحقيقة بالباطل

وأول ما يبرز لنا في الشخصية اليهودية هو تحريف القول الذي خاطبهم به أنبياؤهم، وتبدأ سلسلة التحريفات من تحريف التوراة، وطمس حقائقها التي نزلت على النبي موسى - عليه السلام - إلى تبديل الأقوال ومدلولاتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التحريفات في أكثر من موضع يقول تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة 75].

فتحريف كلام الله لم يجرِ من قبلهم عن غباء أو سذاجة، فعلماء اليهود يعرفونه حق المعرفة ويعلمون أنه الحق، لكن طبيعتهم التحريفية تأبى الانصياع للحق وتأبى الحقيقة، فزيفوا الواقع من خلال تزييفهم لكلام الحق وتحريفهم لكلام الله.

وجاءت آيات القرآن الكريم دقيقة في وصفها لنفسيتهم وطبيعة عقولهم فهم يحرفون كلام الله ويحاولون خداع الأنبياء من خلال اعوجاج مقصود بكلامهم وألسنتهم، ولعل ذلك من أبشع أنواع الخداع حيث يلوون بلغتهم وحروف كلامهم ظناً منهم أنهم يخدعون من يسمع لهم، يقول الله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ

ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: 46].

وطبيعة هذا التحريف ليست طبيعة آنية وليست أحادية الجانب فهي جزء من منهج متكامل من الاعوجاج ونسف الحقائق.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 76 ـ 77].

فإذا كان منهجهم العقيدي يقوم أساساً على التزوير والخداع والتحريف ونحن نرى مناهجهم السياسية والتربوية تصنع تركيبة عقلية متكاملة تقوم على التزوير والتحريف والخداع، فأسس التزوير تقوم على مستند واحد من المصلحة الخاصة، فالنفسية التي جبلت على قلب كافة القيم والمثل لا بد أنها نفسية تجعل محور تعلقها الأنا السلبية فهي نرجسية إلى حد المرض، وهي ذاتية إلى حد الجنون.

وقد خبرهم السيد المسيح ـ عليه السلام ـ فوبخهم وقرعهم بسبب تلفيقهم وخداعهم وقلب الحق إلى باطل.

يقول المسيح ـ عليه السلام ـ: أيها الجيل غير المؤمن والأعوج إلى متى أبقى معكم وإلى متى أحتملكم جيل شرير خائن) متى 17: 19.

ويقول: (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون وأنتم أشرار أن تتكلموا كلاماً صالحاً) متى 2: 34.

ويقول: فهم ينظرون دون أن يبصروا، ويسمعون له دون أنْ يسمعوا أو يفهموا) متى 13: 13 ـ 15.

من هنا بدأ اليهود ولم ينتهوا وعبر مسيرتهم في الزمان استطاعوا أن يعمروا هيكلاً عظيماً من الكذب وصرحاً لا يطال من التلفيق والباطل.

وإذا عدنا إلى تلمودهم وهو الكتاب الأهم لديهم من التوراة، نجد أن ذلك المنهج الخبيث الذي بثه حاخاماتهم هو التلقين المستمر لأتباعهم، والذي يقدم لهم شرحاً مفصلاً لأساليب الكذب والخداع في القول والسلوك.

جاء في التلمود: (يجب على اليهودي ألاّ يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم).

وقد أولى اليهود كل الاهتمام لأساليب الإعلام ووسائله بل وضعوه ضمن استراتيجيتهم الأولى إلى جانب قوة المال.

وقد كرس اليهود في بروتوكولات دهاة صهيون الاهتمام البالغ بالصحافة باعتبارها الوسائل الأهم من حيث الانتشار وإيصال المعلومة للجميع.

جاء في البروتوكول الثاني عشر: ما الدور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر؟

إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحياناً بإثارة المجالات الحزبية الأنانية التي ربما تكون ضرورية لمقصدنا، وسيكون علينا أن نظفر بإدارة شركات النشر، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات والكتب.

ويقول: الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطرتين، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات.

يوضح هذا البروتوكول أساليب العمل الإعلامية المستندة على الخداع والتزييف، يقول: وباسم الهيئة المركزية للصحافة سننظم اجتماعات أدبية سيعطي فيها وكلاؤنا ـ دون أن يُفطن إليهم ـ شارة للضمان وكلمات السر، وبمناقشة سياستنا ومنا قضتها. ومن ناحية سطحية دائماً بالضرورة، ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة سيستمر أعضاؤنا في مجالات زائفة شكلية مع الجرائد الرسمية كي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة أكثر.

وهذه الإجراءات التي ستختفي ملاحظتها على انتباه الجمهور ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور، في الإيحاء إليه بالثقة والاطمئنان إلى جانب حكومتنا، وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهدئته في المسائل السياسية حينما يكون ضرورياً لنا أن نفعل ذلك، وسنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة، حقائق أو ما يناقضها حسبما يوافق غرضنا.

وبهذه الوسائل والأسباب يقوم كبار حاخامات اليهود بوضع فلسفة عنصرية تجاه غير اليهود، وكل ذلك لغاية واحدة صرحوا هم أنفسهم بها في البروتوكول الثالث عشر حيث يقول: ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين فلن يدخل في موضوعنا، ولكن سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا القائلة بواجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا.

وبالفعل استطاع اليهود في العالم الغربي السيطرة على وسائل الإعلام بشكل كبير، فالصحافة البريطانية والفرنسية والأمريكية - وهي الأكثر شهرة في العالم - تقع جميعها تحت النفوذ الإعلامي اليهودي، وكذلك المحطات الإذاعية والتلفزيونية باتت رهينة السيطرة اليهودية، وهذا ما حقق لليهود وسائل تنفيذ خطط إعلامية ضخمة، من خلالها يبث الدعاية بشتى أصنافها وبكل اتجاهاتها إن كانت دعاية للمشروع الصهيوني، أو كانت دعاية مضادة ومعادية لكافة الحركات المعادية للكيان الصهيوني والنفوذ اليهودي في العالم.

ويبدو أن التطور الهائل في التقنية الإعلامية وُظف بشكل دقيق لقلب الحقائق وترسيخ المقولات التي لا تُعد ولا تحصى، والتي تهدف جميعها إلى تشويه كل الحقائق بدءاً بالقضايا الفكرية العقيدية وانتهاء بترسيخ كافة الجوانب النفسية والأخلاقية السلبية لدى شعوب العالم وخاصة في المنطقة العربية كونها هي المعنية أولاً وأخيراً بالصراع مع اليهود، والقوى المعادية للإسلام، والطموحات الإسلامية الكبيرة.

وإذا حاولنا دراسة الإعلام الصهيوني من حيث أساليبه ووسائله نجد أنه يشكل نموذجاً فريداً من نوعه في العالم وذلك بسبب استخدامه لكل الوسائل غير المشروعة وغير الأخلاقية في توجهه نحو العالم وخاصة العالم العربي الإسلامي منه.

فهو وإن لم يخرج عن طبيعة الإعلام الأمريكي والغربي بشكل عام إلا أن له جذوراً تمتد حتى الأعماق التوراتية والتلمودية، تلك الجذور التي تقوم أساساً على قانون الغاية تبرر الواسطة ـ ومنذ أن ظهر المشروع الصهيوني أولى الزعماء الصهاينة الإعلام عناية فائقة تساوي العناية التي أولاها للجيش والأسلحة الفتاكة ـ .

جاءت السيطرة على المال كعصب للمشروع، لكن قوة السيطرة المالية وظفت للاستفادة من كافة التوجهات الغربية على المستوى الإعلامي والاقتصادي والسياسي والثقافي.

واستغلال التوجه الإعلامي كان وما يزال يعني السيطرة على وسائل الإعلام الغربية سيطرة تامة، والمتفحص في خلفية الصحافة الغربية الكبرى يجد أن المال اليهودي يسيرها حسب مشيئته وتوجهه العالمي، وظهر أن أغنى رجال المال اليهودي يمتلكون امتيازات أكبر الصحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية، ولشدة نفوذ اليهود في هذه الصحافة تمنع كثيرٌ من الدراسات الهامة من النشر، مع العلم أنها لكبار المفكرين الفلاسفة الغربيين، خاصة الدراسات التي تتناول الصهيونية وجرائمها عبر التاريخ، فالحديث بالسلب عن الشخصية اليهودية وتاريخها هو من المحرمات في وسائل الإعلام الغربية.

وعلى سبيلِ المثال لا الحصر، لم يسمح للمفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي أن ينشر مقالة في صحيفة ليموند يتناول فيها خدعة المحرقة اليهودية وفضيحتها (الهولوكست) ولم تجرؤ أي صحيفة فرنسية على نشر المقالة، فاضطر أن ينشرها في باب الإعلانات، وكلفه ذلك سبعين ألف فرنك فرنسي، وعلى الرغم من ذلك قامت قيامة اللوبي اليهودي في فرنسا مما أدى بالتالي إلى شن حملة يهودية عالمية على غارودي تحت ذريعة اللاسامية.

ويعرف المتخصصون في مجال الإعلام أن كبريات الصحف الأمريكية يمتلكها رجال مال يهود، وكذلك الصحف البريطانية، ومنها صحيفة الغارديان والفايننشال تايمز ونيوزويك ونيويورك تايمز وغيرها، وفي العالم الغربي يمتلك اليهود أقوى المحطات الفضائية والأرضية المحلية، ويوجهونها توجيهاً صهيونياً صرفاً، ففي الولايات المتحدة وحدها يوجه اليهود أكثرية المحطات التلفزيونية وحسب بعض المصادر فإنهم يسيطرون على أربعين محطة تلفزيونية محلية، وفي كل حي يهودي من أحياء البلدان الغربية يفسح المجال بشكل واسع جداً لإقامة محطات إذاعية وتلفزيونية موجهة خاصة لليهود.

وأخيراً سيطر رجال الأعمال والمال اليهود على شبكات الإنترنت التي تكرس معظمها لأغراض مشبوهة وغير أخلاقية.

وإذا كانت هذه الوسائل الإعلامية معروفة لدى معظم الناس فإن الأساليب المتبعة لنشر المعلومة والخبر تحتاج لوقفة تقييمية معمّقة.

1 ـ قبل بداية قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ركز الإعلام الصهيوني على مقولات كثيرة كان أهمها أن فلسطين أرض بلا شعب، واليهود شعب بلا أرض حتى أن غولدا مائير رئيسة وزراء العدو الصهيوني السابقة كانت تردد دوماً: أين الشعب الفلسطيني، إنه لا وجود لشعب فلسطين على الإطلاق.

واستطاع الإعلام الذي تبنته المنظمة الصهيونية منذ مؤتمر بال (1887) في سويسرا وحتى الآن أن يصوّر المسلمين والشعب العربي أقواماً من البرابرة يجب إلقاء القنابل بينهم لإبادتهم، وقد لفق الإعلام الصهيوني آلاف المقولات عن الشخصية العربية، وجميع هذه المقولات تصف الشخصية العربية بسوء الأخلاق والتخلف والقذارة وانحطاط القيم والمثل.

2 ـ وما إن حل الصهاينة واحتلوا فلسطين وأقاموا كيانهم حتى تطور الإعلام الصهيوني بوسائله وأساليبه.

ففي الصحف الخاصة بالأطفال وكذلك القصص والكتب الموجهة للأجيال الناشئة ركز الكتاب الصهاينة ومن خلال حس عنصري على زرع الحقد على العرب

وتصوير الفلسطينيين بأبشع الصور، ففي مخيلة الطفل تتكون تلك الصور المشوهة، ومن ثم يصبح لديه حافز لمعرفة الرد الأقوى والتعامل مع تلك الشخصية ويرى الدكتور أديركوهين المشرف على مركز أدب الأطفال في حيفا أن قصص الأطفال تحوي توجيهاً إعلامياً عنصرياً ضد العرب، أما الأساليب والوسائل المستخدمة في وسائل الإعلام كالإذاعة والشاشة الصغيرة فهي لا تُعد ولا تحصى وتستخدم أوسع الوسائل أو أكثرها تأثيراً.

ومن خلال التجربة الإعلامية الصهيونية تبين أن الكيان الصهيوني يستخدم علماء في علم النفس ومتخصصين بالإشاعة المضادة وبث الأخبار ذات التأثير النفسي السلبي.

ويظهر ذلك جلياً أثناء الحروب والهزات الكبيرة التي انتابت التجمع الصهيوني حيث يستنفر الكيان الصهيوني كافة الرجال الاختصاصيين بالإعلام لمعالجة الوضع الطارئ، ومن الطبيعي أن جهاز الإعلام الصهيوني كونه جهازاً خطيراً وحساساً فلا شك أن أجهزة المخابرات الخارجية (الموساد) والشين بيت وبعض الأجهزة الأخرى تعمل بكل قواها في خدمة الإعلام الصهيوني، ويتضح أيضاً أن الإعلام الصهيوني يتجه اتجاهين، اتجاهاً نحو الخارج أي اتجاه العرب واتجاهاً داخلياً نحو التجمع الصهيوني، فلكل اتجاه خطابُه المختلف وأدواته المختلفة، فالإشاعة المغرضة الموجهة للعرب لا تستخدم إلا للعرب، بينما الخطاب الموجه لليهود يختلف من حيث الغاية واللغة وأسلوب التوجه الإعلامي.

ويمكن لنا أن نشير هنا إلى الأساليب الإعلامية الصهيونية الموجهة للعرب على الرغم من كثرتها:

1 ـ استخدام أسلوب تزييف الحقائق وهو أسلوب واسع الاتجاه، إن كان ذلك في أيام السلم أو كان في أيام الحرب، وعليه فإن الإعلام الصهيوني يكبر الحادثة الصغيرة حتى يجعلها أكبر قضية في وقتها، فعلى سبيل المثال لا الحصر قضية إلقاء القبض على جاسوس يهودي في إحدى الدول، فهذه القضية تحولت في الإعلام الصهيوني إلى قضية ترتبط بمعاداة اليهود واللاسامية والعنصرية، ويستنفر الإعلام

الصهيوني كافة إمكاناته ووسائله للحديث عن هذه القضية، حتى أنه يضغط على وسائل الإعلام الغربية لتجعل من المسألة مشكلة كبرى تمس الأمن العالمي لأنها تتعلق باضطهاد اليهود حسبما يروّجه الإعلام.

بينما لو أخذنا نموذجاً آخر وليكن مثلاً مجزرة قانا أو مجزرة جنين باعتبارها قريبة الحدث فإن الإعلام الصهيوني يصورها دفاعاً عن النفس أو اضطراراً فرضته الظروف، أو أن سبب مجزرة قانا مثلاً وجود بعض أفراد المقاومة بين الناس، وتبدي الأوساط الغربية مجرد أسفها لما حدث، وبقليل من المعونات والتعويضات يُسكتون الأصوات ويستطيعون إخضاع الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لابتزازها ومن ثم إجبارها على تناسي المجزرة التي راح ضحيتها أكثر من مائة شخص بينهم أطفال ونساء وشيوخ وعجائز، وقس على ذلك كافة الأمور التي تُحوِّل فيها الحقيقة باطلاً والباطل حقيقة.

2 - الإشاعة والإشاعة المضادة: ففي الإعلام الصهيوني شعبة خاصة لتوجيه الإشاعات بحيث تثير لدى العرب البلبلة والتخبط واليأس والقنوط ويتم تسريب الإشاعة أحياناً في نشرة إخبارية واحدة لا تتكرر بحيث يصبح للسامع فضول في معرفة صحتها والبحث عنها وذلك ما يشغله عن القضايا الأساسية في الصراع، وكمثال على ذلك ما تذيعه الإذاعة الصهيونية عن أن قوات الاحتلال (الأمن) توصلت إلى القبض على خلية عسكرية تابعة لحركة جهادية ما واعتراف أعضائها بالتنظيم والعمل إلى آخر ما هنالك، بينما تكون الإشاعة مجرد خبر يُراد من ورائه التخبط في الجانب الأخر والحيرة والإحجام والشك والخوف والشلل.

3 - إظهار الحياد في طريقة بث الخبر، وهذا من أخطر ما يستخدمه الإعلام الصهيوني بحيث يظن السامع أن الخبر موضوعي ليس فيه من الزيف والتحيز شيء، مثال على ذلك ما تبثه الأخبار عن قيام قوات الأمن الصهيوني باعتقال عدد من المستوطنين الذين يريدون الاستيلاء على أرض عربية، وفي الواقع تكون قوات الأمن نفسها تحمي مجموعة من المستوطنين الذين يضعون البيوت المسبقة الصنع في أراض عربية ويدعون أن هذه الأرض استولت عليها الدولة لأغراض أمنية.

4 ـ نقل الخبر السريع قبل أن تبثه وكالات الأنباء وذلك لإظهار الإعلام الصهيوني على أنه السبّاق في نشر الأخبار الهامة ، والواقع أن الإعلام الصهيوني يلجأ لبث مثل هذه الأخبار استناداً على تقارير تقدم من أجهزة الأمن والمخابرات ، ويقصد من ورائها التضليل أو الإحباط أو التشويش .

5 ـ استخدام منوعات غنائية تحمل من المعاني ما يسيء إلى الشخصية العربية أو يجعلها محط الشك والاستهتار ، والواقع أن للكيان الصهيوني أسلوباً إعلامياً معروفاً في انتقاء الأغنية الموجهة نفسياً وفكرياً بحيث تثير لدى السامع ربطاً بين الأخبار التي سمعها وبين الأغنية ، ويعتمد هذا الأسلوب على تضخيم الوهم لدى السامع العربي بحيث يصبح رهينة ورهين الخوف فيُشل عن التفكير والحركة أو يشكك بذاته وشخصيته ودينه وقومه وأخلاقه .

ولعل طبيعة الشخصية اليهودية المبنية على الخداع والكذب لا تستطيع أن تحيا بمعزل عن كره الآخرين وهذا الكره يولد نزعة تستند على مبادئ لا أخلاقية أهمها التركيز على زرع بذور التفرقة بين العرب والمسلمين عن طريق الوسائل الإعلامية المختلفة ، وهذا ما لمسناه عن كثب من خلال مسيرة الخمسين عاماً التي مضت على احتلال اليهود لأرض فلسطين .

وعودة على بدء فإننا لا يمكن أن نفصل دراسة هذه الشخصية عن ماضيها ، ولا يمكن أن نغفل أو نتغافل عن القرآن الكريم الذي فضح هذه الشخصية وأساليبها في الكذب والتلفيق والخداع وتحريف القول بل الحقائق وحرفها عن مسارها الصحيح .

ثانياً: الإعلام الصهيوني والدور الإرهابي في أمريكا:

عندما وقع ما وقع في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر في نيويورك وواشنطن كان الإعلام الصهيوني على موعد مع ضالته المنشودة كي ينفث كل سموم حقده على العرب والمسلمين .

فبدءاً من شارون وانتهاء بكافة وسائل الإعلام الأمريكية المسيطرة عليها من قبل الدوائر الصهيونية راحت أبواق العداء ضد العرب والمسلمين تشن أكبر حملة

إعلامية باتجاه ترجمة ردة الفعل الأمريكية حرباً مدمرة على الشعوب العربية والإسلامية.

والمراقب للأحداث على مدى شهر من الزمان بعد الذي حدث في أمريكا يرى أن الإعلام الصهيوني كان يتوجه عدة اتجاهات، ويعمل على عدة جبهات مما يشير إلى طبيعة التوجه التدميرية للتحرك الصهيوني إن كان داخل فلسطين المحتلة أو في أمريكا أو في كافة أرجاء المعمورة.

وفي الاتجاه الأول صب الإعلام الصهيوني كل حقده على العرب والمسلمين وصورهم بشكل كلي إرهابيين قتلة، وأن ما حدث في أمريكا ليس إلا من فعل العرب والمسلمين الحاقدين على الحرية والديمقراطية وقيم العالم الحر.

وفي الاتجاه الثاني كرس الإعلام الصهيوني نفسه لدفع الأمريكان شعباً وحكومة باتجاه شن الحرب المدمرة على كافة الدول التي حسب زعمه تؤوي الإرهابيين ولاشك أن الوضع النفسي الأميركي كان لا يحتاج في هذا الظرف إلا لعود ثقاب ليشعل الحرب باتجاه أفغانستان، وبعض الدول العربية والإسلامية، وكان الإعلام الصهيوني عود الثقاب الذي أسرع بإشعال الحرب.

وفي الاتجاه الثالث: ربط الإعلام الصهيوني بين ما جرى في أمريكا وبين ما يجري في فلسطين، وحاول بشتى الوسائل دمج الصورتين ليجعل من العرب الفلسطينيين إرهابيين قتلة، ويجعل من العدوان الصهيوني الدموي ضحية لهذا الإرهاب.

وفي الاتجاه الرابع: صور الإعلام الصهيوني المحتلين الصهاينة وكأنهم الأكثر حرصاً على مشاركة أمريكا عسكرياً في الحملة العسكرية التي تشنها أمريكا على أفغانستان والتي تنوي أن توسع نطاقها لتشمل مناطق عربية وإسلامية أخرى، ويظهر دوماً أن هذا التوجه الصهيوني كان يُقصد من ورائه إطلاق الحرية الكاملة للكيان الصهيوني كي ينفذ أكبر عملية تصفية للفلسطينيين، وكذلك كي ينفذ بعض الضربات القاسية على لبنان وبعض الدول العربية الأخرى، وطالما أن العالم منشغل بتداعيات ما حدث في أمريكا فإن حرية التحرك العسكري الصهيوني لن تراقب وستمر دون

حساب لأنها تأتي حسب التصور الصهيوني - في سياق ما يسمى الحرب على الإرهاب - .

منذ اليوم الأول لما حدث في أمريكا انطلقت الصيحات الصهيونية من شارون وغيره من الزعماء الصهاينة تتهم العرب والمسلمين بما جرى، كانت أمريكا تعيش حالة من الذهول الشديد لكبر الفاجعة ولم يكن أحد في أمريكا مستعداً لسماع أي شيء سوى الانتقام حتى لو من المجهول، لم يكن أحد يعرف من وراء هذا الحدث الكبير وليس هناك أي إشارة قضائية أو استخباراتية للجناة، لكن شارون الذي يعيش مع حكومته في مأزق الانتفاضة لم يجد باباً أفضل من هذا الباب ليدخل فيه على أوسع نطاق، فمنذ اللحظة التي وقعت فيها الفاجعة الأمريكية راح يصب اتهاماته على العرب والمسلمين، ولا شك أن الحالة الانفعالية الأمريكية كان لا ينقصها إلا مثل هذا الترويج الإعلامي حتى تبدأ البحث عن الجناة الذين هم حسب ما روّج الإعلامُ عربٌ ومسلمون.

فكانت تصريحات شارون البداية ونقطة الانطلاق الإعلامي في الصحافة الصهيونية ووسائل الإعلام الأمريكية والغربية.

ومن المعروف أن القوى الصهيونية الإعلامية والمالية تسيطر بشكل كامل على وسائل الإعلام الأمريكية المقروءة والمسموعة والمرئية، وقد بدأت هذه الوسائل بما لها من إمكانيات بحملة تحريض واسعة على العرب والمسلمين، وكان الصحفي والكاتب المشهور توماس فريدمان على رأس الحملة الإعلامية الموجهة، وقد نشر فريدمان عدداً كبيراً من المقالات في واشنطن بوسط والنيويورك تايمز يحرض فيها الإدارة الأمريكية على شن أكبر حرب على العرب والمسلمين، ولم تكتف بنشر المقالات التحريضية بل راحت محطات التلفزة تجري معه مقابلات متعددة تؤكد من خلالها حسب زعمها إرهابية العرب والمسلمين، وتنزه الكيان الصهيوني وتصوره كأنه الضحية الأكبر لهذا الإرهاب العربي الإسلامي.

ولعل من أبشع صور التحريض تلك التي حرضت الأمريكان ضد العرب والمسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد لجأت وسائل الإعلام

الصهيونية والأمريكية ذات التوجه الصهيوني إلى التحريض النفسي ضد هؤلاء العرب وطالبت بطردهم أو قتل بعض الأفراد منهم، والتضييق عليهم باعتبارهم - حسب الزعم الصهيوني - قنبلة موقوته داخل البيت الأمريكي، وكان من جراء هذا التحريض أن قام بعض الإرهابيين بالاعتداء على مواطنين عرب ومسلمين وقتل بعضهم أو حرق متاجر بعضهم الآخر.

وقد لعبت المحطات الفضائية وكذلك المحطات المحلية التي يسيطر عليها الأصوليون الأمريكيون دوراً خطراً في ذلك التحريض حيث ركزت إحدى المحطات التي يشرف عليها الأصولي المتطرف جيري فولويل على المقارنة بين صور الضحايا الأمريكيين والضحايا الصهاينة جراء العمليات الاستشهادية في فلسطين وغيّبت كل ما من شأنه الإشارة للقمع الصهيوني وإرهابه الدموي ضد الشعب الفلسطيني.

والأخطر من ذلك كله أن بعض هذه المحطات صورت ما حدث على أنه حرب يأجوج ومأجوج وحرب الكفار على الحرية والديمقراطية والقيم الأمريكية العظيمة، ولا يخلو ذلك من حس خرافي أسطوري يستند على مقولات توراتية وتفسيراتها الخاصة بالأصوليين الأمريكيين.

وقد استغلت بعض هذه المحطات ما حدث في أمريكا لتنشر أفلاماً ودعايات تصور العرب والمسلمين قتلة يتلذذون بسفك الدماء ويفرحون فرحاً هستيرياً وهم يشاهدون أكبر ناطحات السحاب في نيويورك وهي تنهار وتصبح ركاماً بعد أن كانت رمز العظمة الأمريكية التجارية، بل رمز الإنسانية الحضارية، متناسين تماماً أن عدد الضحايا في الحادث من العرب والمسلمين وصل أكثر من ألف ضحية بينما لا يوجد من الصهاينة ضحية واحدة.

وقد روجت وسائل الإعلام الصهيوني في أمريكا استطلاعات للرأي بين قطاعات كثيرة من الشعب الأمريكي، كانت معظم الأسئلة الموجهة فيها مركزة على اتهامات للعرب والمسلمين بأنهم إرهابيون، وأنهم وراء ما حدث في نيويورك وواشنطن، وكل ذلك ليؤكدوا ويرسخوا في الأذهان والنفوس الحقد ضد العرب

والمسلمين والبحث عن وسائل لتدمير بلدانهم أو لطرد من يسكن منهم في الولايات المتحدة وأوربا.

والواقع أن الإعلام الصهيوني كان الأسرع في استغلال ما حدث خاصة أن الوضع النفسي المتوتر الذي يعيشه المواطن الأمريكي لم يكن آنذاك مستعداً ليحلل الأسباب ويدرس واقع السياسة الأمريكية وماضيها وتعاملها مع القضايا الساخنة في المنطقة العربية.

وقد نشرت بعض الصحف في الولايات المتحدة صوراً شتى على الصفحات الأولى استخدمت في تشكيلاتها أسوأ التصوير للشخصية العربية والإسلامية، وفي إحداها صُورت مساجدها وهي تدفع من قلبها بعشرات من العرب وهم يهددون بالقتل ويحملون بأيديهم أسلحة بيضاء كالسيوف والسكاكين، ويأتي كل ذلك بدفع من التوجيه الصهيوني المسيطر على قطاعات واسعة من الإعلام الأمريكي.

ومع تداعيات الحدث في الأيام اللاحقة وحتى هذه اللحظة يتعامل الإعلام الصهيوني مع مسألة الإرهاب من وجهة نظره القائلة بأن الفلسطينيين والعرب إرهابيون وعلى الإدارة الأمريكية أن تضع في ميزانها ما حل في نيويورك وواشنطن وما يجري من صراع بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني في كفة واحدة.

لقد جاء ما حدث في الحادي عشر من الشهر التاسع بدفع إعلامي صهيوني لم يسبق له مثيل حتى في أحداث أكثر حساسية وأكبر خطراً على منطقة الشرق الأوسط، وبات من الواضح أن الإدارة الأمريكية التي لم تول الصراع العربي الصهيوني حقه بدأ من تسلّم بوش السلطة وحتى ما قبل الحادثة في أمريكا أصبح عليها حسب نظرة شارون والكيان الصهيوني، أن تحسم أمرها تجاه الفلسطينيين لصالح السلطة الصهيونية، وكانت هذه السلطة تهدف من وراء الحقن العنصري ضد العرب إعطاء مزيد من الحرية لقوات الاحتلال كي تنفذ أكبر عملية تصفية لكوادر الشعب الفلسطيني وهدم أكبر عدد من المنازل الفلسطينية وتصعيد الحصار والتجويع والإجراءات القمعية الأخرى.

وعندما نعود بالذاكرة إلى الأيام الأولى التي تلت 11 أيلول/ سبتمبر تقف أمامنا صورة الاستغلال الصهيوني الكبير للمشاعر الأمريكية، وقد ركز الإعلام الصهيوني مقالاته وصوره التلفزيونية على حملة التبرع بالدم التي قام بها شارون وبعض زبانيته لتظهر التعاطف الصهيوني مع الشعب الأمريكي على مداه، على الرغم من أن أوساطاً صهيونية دينية استنكرت ذلك لأنه لا يجوز حسب الشرائع التلمودية الحاخامية منح دم يهودي لغيره من أبناء الديانات الأخرى، لكن الإدارة الصهيونية وعلى رأسها شارون رأت الفرصة مناسبة جداً لإظهار أقصى حالات التعاطف مع الشعب الأمريكي المنكوب، وقد طبل الإعلام الصهيوني لهذا التعاطف لكنه لم يتوقف عند حده إنما وفي كل مقالة ومع كل صورة كان الإعلاميون الصهاينة يُبرزون العرب والفلسطينيين قتلة مصاصي دماء، فهذا الدم الذي يتبرع به الصهاينة هو نفسه دم المستوطنين والجنود الصهاينة الذين يدافعون عن الحرية والديمقراطية في مواجهة الوحشية العربية على حد زعمهم.

إن الطرق الإعلامية الملتوية والخبيثة ليست جديدة على الشخصية الصهيونية، فهي ترافق طبيعتها بل هي جزء من تركيبها النفسي والعقلي.

وليس ما حدث في أوكلاهوما قبل سنوات ببعيد عن أذهاننا، ففي تلك الحادثة حاول الإعلام الصهيوني بقضه وقضيضه أن يلصق التهمة الإجرامية بالعرب والمسلمين وكادت تنطلي تلفيقاته على الأمريكان، لكن اكتشاف الجاني الحقيقي - وهو أمريكي من جماعة الطائفة الداوودية - جعل الصهاينة يركدون خائبين، ولا ندري هل تكشف الأيام عن حقائق تدحض الافتراءات الصهيونية الإعلامية وتردها خائبة كما حدث في أوكلاهوما سابقاً؟!

الإعلام وإشكالية المصطلح في صدام الحضارات

(الصدام العربي الصهيوني نموذجاً)

أصبح مصطلح الإعلام من أكثر المصطلحات استخداماً في العقود الأخيرة من القرن العشرين وما بعده، حتى أصبح من أكثر الكلمات استخداماً على ألسنة الجماهير كافة، من مثقفين وغير مثقفين، وتولي كافة دول العالم اهتماماً واسعاً به

كونه أصبح علماً كبقية العلوم، ولما يتمتع به من تأثيرات على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولما له من تأثيرات على العلاقات الدولية السلبية منها والإيجابية.

ولعلنا ونحن نخوض الصراع المرير كأمة عربية وإسلامية مع أعداء الأمة من صهاينة وحاقدين على عقيدتنا وقعنا في إشكالية استخدام المصطلح السياسي في وسائلنا الإعلامية، وأصبحنا نبسط الأسباب والتبريرات أمام جماهير أمتنا العريضة لنمرر المصطلح السياسي الخاص بالصراع مع العدو الصهيوني وما آل إليه في العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحالي، ذلك المصطلح الذي لم يكن مقبولاً حتى في أسوأ حالات انهزامنا، وقد بتنا نقلب كثيراً من المفاهيم المرتبطة بالصراع والتي أسسنا عليها بناءنا الفكري والنفسي والأيديولوجي.

وحتى لا يفوتنا تعريف الإعلام في هذا الإطار، فإننا نفهم أنه كل اتصال جماهيري هدفه نقل الأخبار والمعلومات عن القضايا والموضوعات المختلفة بموضوعية تامة، وبغير تعليق أو رأي شخصي، ودون تحريف أو تشويه بقصد إطلاع الجماهير على المعلومات الموضوعية، وحتى لا يكون التعريف ضيقاً أو محصوراً فإننا يمكن أن نضيف إليه أن الإعلام يُعنى بتقديم الكثير من المواد الثقافية والدعوية التي من شأنها تحقيق حياة أفضل للإنسان والمجتمع، وطالما نحن في حالة صراع يومي مع الاحتلال الصهيوني فإن الإعلام يصبح السلاح الموازي للسلاح العسكري مهما كان حجمه وتأثيره في مسار الصراع، ومعروف لدينا أن وسائل الإعلام أصبحت كثيرة وخطيرة ومتنوعة، وتتمثل بالصحافة المكتوبة والناطقة والمرئية، ووكالات الأنباء ودور السينما وقاعات المحاضرات، ولاشك أن الشاشة الصغيرة وملحقاتها أصبحت من أخطر الوسائل في نقل المعلومة الخبرية والثقافية.

ولاشك أن استخدام المصطلح السياسي في وسائل الإعلام يعتبر من أدق الأدوات وأخطرها في الإعلام، لما له من تأثيرات على البنى العقلية والنفسية والاجتماعية.

وقبل أن ندرك جوانب تلك التأثيرات لا بد لنا أن نتوقف عند المصطلح نفسه في الإطار العام لصدام الحضارات، وفي الإطار الخاص للصراع العربي الصهيوني، يبرز لنا مصطلح (إسرائيل) كأساس بنيت عليه كافة المصطلحات، فأصبحنا نكرر هذا المصطلح في كافة وسائلنا الإعلامية كأمر مسلم به، ومن ذلك استخدامنا لمصطلحات النسبة جميعها كرئيس وزراء (إسرائيل) أو وزير خارجية (إسرائيل) وقس على ذلك مئات التسميات، فهذا المصطلح في المنظور القانوني يأخذ شرعية وجوده كاسم على مسمى، ويعني بالتالي أنه يلغي سبب الصراع إذ يمكن القول طالما أن (إسرائيل) دولة بالمعنى القانوني فلا يحق لطرف أياً كان أن ينازعها سيادتها على أرضها، ولا يحق لطرف أن يكون معادياً لها، إذ لا مصلحة له في عدائها سوى الاعتداء عليها.

واستخدام هذا المصطلح يعني الإقرار بوجود علاقة جذرية بين أرض فلسطين والمتهودين القادمين من شتى أصقاع الدنيا، وليس العرب الفلسطينيون سوى أناس طارئين على هذه الأرض، ويجب إخراجهم منها إذ لا يمكن أن يفهم العالم وجود دولة اسمها (إسرائيل) ووجود شعب يطالب بدولة اسمها فلسطين على نفس التراب والأرض ونفس الجغرافيا.

ولا يحق في هذه الحال لأي فلسطيني مشرد أن يطالب بأرضه والعودة إليها إذ أنه بنظر العالم يريد اختراق القانون، واختراق سيادة الدولة (الإسرائيلية) وهذا يعني بالضبط إلغاء أكثر من خمسة ملايين عربي فلسطيني مشرد، وإلغاء هوية، وإلغاء انتماء وارتباط بفلسطين.

إن غالبية أبناء الأمة العربية وقبل توقيع اتفاقات كامب ديفيد بين مصر والعدو الصهيوني لم يقبلوا تكريس مصطلح (إسرائيل) لا في وسائل الإعلام، ولا على المستوى الجماهيري على الرغم من أن الإعلام العربي بمجمله كان انفعالياً عاطفياً غير علمي في كثير من شعاراته وأساليب نقل أخباره، غير أن الابتعاد عن مصطلح الاعتراف كان من شأنه أن يسير في الاتجاه الصحيح، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار التطور التقني للإعلام وتهيئة الأساليب العلمية الصحيحة وخلق الكادر الإعلامي الذي يتمتع بشمولية علمية سياسية ونفسية وفكرية، ومع توقيع أول اتفاقية ذل في

كامب ديفيد راح هذا المصطلح يندس في إعلامنا وأجوائنا الشعبية والرسمية، وتدريجياً صار المواطن يلهج بمصطلح (إسرائيل) أكثر ممّا يلهج بمصطلح فلسطين، وحتى عندما وُقع اتفاق أوسلو أصبح المواطن يلهج بكلمة الضفة وغزة بشكلٍ ينم عن نسيان أو تناسٍ لمصطلح فلسطين، وكل هذا كرّس الاعتراف بأمر واقع مفروضٍ اسمه (إسرائيل) دونَ أي لبس أو مواربة، لقد قدمت مبررات وفرضيات بشكل ضمني لاستخدام هذا المصطلح، ومن الافتراضات ما هو صادر عن بعض التفسيرات الدينية حيث ترى أن استخدام مصطلح إسرائيل يتوافق مع مقولة في القرآن الكريم تشير إلى حتمية الصراع بين عباد الله وبني إسرائيل، ولا يكتمل هذا الصراع ولا يصل ذروته ما لم يصل بنو إسرائيل إلى قمة إفسادهم وعلوهم، وهذا ما نصت عليه الآيات السبع الأولى من سورة الإسراء، ويرى هذا الاتجاه أن استخدام مصطلح (إسرائيل) يؤكد حتمية الصراع بين العرب والمسلمين وبين بني إسرائيل فلذلك يجب تكريسه في العقول والنفوس مع مراعاة العداء له حتى يصل الصراع إلى منتهاه.

وبعض الأطراف العربية تبرر استخدام المصطلح لأن السياسة الدولية وخاصة الأوروبية والأمريكية ترفض مصطلحات العداء للكيان الصهيوني وخاصة بعد مؤتمر مدريد، فيجب الاعتراف (بإسرائيل) كأمر واقع كما اعترف بها العالم، وإلا سنفسح المجال للعالم الغربي بوصمنا بالإرهاب والعنصرية واللاسامية ورفض السلام. . .

وسيُلفّق علينا كثير من الأقاويل ومنها أننا نريد إبادة اليهود وإفناء (إسرائيل) وهذا لم يعد مقبولاً لدى أحد من العالم الغربي وغيره، ويرى هذا الاتجاه أنه لا جدوى من المكابرة (فإسرائيل) موجودة كأرض وشعب وسيادة شئناً أم أبينا.

أما الطرف الثالث فيبرر استخدام مصطلح (إسرائيل) وملحقاته بأن ذلك أقرب إلى الموضوعية العلمية وأبعد عن العواطف والشعارات والانفعالات الخادعة، ولا حاجة لنا باستخدام تلك المصطلحات العاطفية كمصطلح العدو الصهيوني مثلاً، أو قطعان المستوطنين والدخلاء وما شابه ذلك.

فالكتابة الموضوعية بمنهجها الأكاديمي لا تستخدم إلا ما هو واقعي، ولا مكان للمصطلح العاطفي الانفعالي في هذا المنهج، وهذا الطرف يمثله كبار الباحثين

والكتاب الداعين إلى التطبيع مع العدو الصهيوني، والمتأثرين بالمناهج الإعلامية الغربية.

وإذا دققنا بالمبررات ذات الاتجاهات الثلاثة، وجدنا أن كلاً منها قد وقع في مطب خطير كان له وما يزال أفدح الخطر في نفوس أبناء أمتنا وعقولهم.

فالطرف الأول ذو الوجهة الدينية يفتقد علمياً لأي مبرر أو مستند، صحيح أن القرآن الكريم تحدث عن صراع مستمر بين المسلمين وبني إسرائيل والمتهودين، وصحيح أن هذا التفسير لآيات سورة الإسراء قد يكون صحيحاً ولكن استخدام مصطلح (إسرائيل) ليس استخداماً مفروضاً أو جبرياً، والنص القرآني لا يحكم بتفسيراتنا البشرية ونحن لا نقوم بشيء سوى الاجتهاد الذي قد يخطئ صاحبه أو يصيب، وليس لاستخدام المصطلح (إسرائيل) شأن في تكريس إدامة الصراع الحالي والمستمر.

والواقع المنظور يقول لنا: إننا نجتهد كما يجتهد غيرنا، ولكن اجتهادنا في تفسير آيات القرآن الكريم لا تحكمه المواقف الأيديولوجية المسبقة والتي نصنعها نحن بأنفسنا، فكما نرى اليوم في فلسطين المحتلة أعراقاً وأجناساً من المتهودين يبلغ تعدادها الثمانين عرقاً وجنساً فأين هم بنو إسرائيل من هذه الأعراق والأجناس، وكيف نسلّم أن كل متهود يطلق عليه وعلى أمثاله بني إسرائيل؟

فنحن نعتقد أن النص القرآني يفرض علينا التمعن والفهم الحقيقي لمقاصده ولا يحتاج لأيديولوجيا انفعالية تفرضها فحسب.

ثم إن المصطلح الذي يكرس العداء بين الظالم والمظلوم، بين المغتصب والمغتصبة أرضه ليس بالضرورة أن يكون واحداً على مر العصور، وتقصد به الصراع بين بني إسرائيل والمسلمين فالرسول عليه الصلاة والسلام وحسب ما أورده القرآن الكريم وحسب ما أوردته السنة الشريفة لم يستخدم مصطلح بني إسرائيل وحده أثناء الصراع مع اليهود في المدينة (يثرب) وما حولها، فقد استخدم مصطلح أهل الكتاب أكثر من سبعين مرة، واستخدم كلمة يهود تسع مرات منكرة ومعرفة، والواقع أن معظم الآيات التي استخدمت مصطلح بني إسرائيل كانت في أغلبها تتحدث عن

الماضي، أي: أنها تخبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن تاريخ بني إسرائيل وماضيهم ومآسي الأنبياء معهم منذ موسى ـ عليه السلام ـ وحتى عيسى ـ عليه السلام ـ أما مصطلح أهل الكتاب فقد استُخدم في الحجاج الحاضر أي: في الحوار بين النبي الكريم وبين يهود المدينة وما حولها.

أما كلمة يهود فقد جاءت في معظم الحالات في صيغة الذم والفضح، وهذا يعني أن مصطلح يهود هو المصطلح الأوفر حظاً في ذم اليهود، وهو المصطلح الأكثر التصاقاً بواقع الصراع إن كان صراعاً دينياً أو عقدياً أو كان صراعاً مسلّحاً أو عنيفاً.

إن استخدام مصطلح (إسرائيل) يعني استخدام مصطلح الثبات في المكان وهذا يعني أن المتهودين قد ثبتوا في المكان أي: في فلسطين، والثبات يعني الديمومة والبقاء والاستمرار، وهذا ما ينافي ما جاء في القرآن الكريم أولاً، وما جاءت به وقائع التاريخ عبر أكثر من ثلاثة آلاف عام.

والصراع ليس مع بني إسرائيل بهذا المفهوم الضيق، والقرآن الكريم يشير لنا بوضوح أن الصراع لا يرتبط بمكان صغير فحسب إنما يشير إلى صراع كوني بين القوة الخيرة والقوة الشريرة والمنحرفة سلوكياً وعقيدياً.

فاليهود الذين يعادون يهوداً آخرين مخلصين ليهوديتهم وتوحيدهم كالقرائين مثلاً هم منحرفون ظالمون أشرار فاسدون إن كانوا في مكان واحد أو عدة أمكنة من العالم إن كانوا في فلسطين المحتلة أو في أمريكا وروسيا والهند أو غيرها، الصراع مع الظالمين واجب ديني فرضته قوانين الإنسانية جمعاء.

واليهود الذين عادوا السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ويعادون النصرانية ويكيدون لها هم أيضاً أشرار فاسدون وقتلة وظالمون وتجب محاربتهم أينما كانوا في فلسطين أو غيرها.

وكذلك اليهود الذين عادوا النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعادون العرب والمسلمين ويظلمونهم ويغتصبون أراضيهم هم أيضاً أشرار فاسدون تجب محاربتهم أينما كانوا وأينما وُجدوا، وهذه هي رسالة إقامة العدل والتوحيد والمساواة والحقوق الإنسانية في كافة أرجاء المعمورة.

أما الطرف الثاني الذي يبرز استخدام مصطلح (إسرائيل) بسبب المتغيرات السياسية والظروف الدولية فإنه يبدو منطلقاً من عجز واضح عن مقاومة الغزو الفكري الغربي والعالمي.

والواقع أننا كعرب تقبلنا كثيراً من التعاليم والمصطلحات الغربية بدءاً من العشرينات من القرن السابق أي: بدخول الاستعمار الحديث العسكري إلى بلادنا بعد الحرب العالمية الأولى واتفاقية سايكس بيكو، حتى أصبح معمماً فرض علينا ثقافة غربية نسفت كثيراً من مفاهيمنا وثقافتنا، وهو مستمر بسياسة الغزو الثقافي من خلال فرض مصطلحاته علينا وعندما نادي بمحاربة ما يسمى الغزو الثقافي والتطبيع فإننا ملزمون أن نستخدم المصطلحات السياسية النابعة من قناعتنا وليس من قناعات الغرب، فالغرب لا يطلب منا مباشرة استخدام مصطلحاته إنما هو بإعلامه وثقافته يغزونا، بأساليب إعلامية كثيرة ويكرس مفاهيمه في عقولنا وأدبياتنا وثقافتنا.

والمتغيرات الدولية مصطلح مبهم وخطير في نفس الوقت فما الذي تغير بالنسبة لنا نحن العرب، المتغيرات الدولية فرضت قوة الكيان الصهيوني وتوسعه على حساب أرضنا وشعبنا العربي وفرضت ضعفنا وتقييدنا أمامه.

والذي تغير هو مزيد من الضعف والعجز والانهيار، ومزيد من الحصار وسياسات التجويع والانحدار المسلكي والأخلاقي، وفقدان الشخصية المتوازنة، والغرب يريد منا أن نكون حسب فهمه واقعيين أي: نقبل بالواقع المفروض علينا، فهذه حدودنا وهذا هو سقفنا الحضاري والوجودي في هذا الكون المتطور والمتقدم، نعتقد أن استخدام أي مصطلح مرهون بما أفرزه، وإذا كان الضعف والانهيار هو ما أفرزه قبولنا بمصطلح (إسرائيل) فمن المفترض أن نرفض ضعفنا ونكون أكثر تحفزاً وأكثر تصدياً لهذا الضعف والانهيار وإلا إذا تم العكس فلا داعي للادعاء بأننا أمة لها شخصيتها وتاريخها وحضارتها، ولها أيضاً مقومات وجودها واستمرار بقائها.

ولعل هذا الطرف عرف خطأه القاتل حين رأى ما حدث من متغيرات بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر، وبعد الاجتياح الصهيوني للضفة الفلسطينية وحرب الإبادة التي شنتها قوات الاحتلال الصهيونية على الشعب الفلسطيني، فأمريكا

كشرت عن أنيابها المتوحشة وأعلنت على الملأ عداءها للإسلام والمسلمين يساندها البريطانيون وبعض دول الغرب والكيان الصهيوني في اجتياح الضفة الفلسطينية وأجرى المذابح المروعة وحرب الإبادة بحق الفلسطينيين، فماذا تغيّر وما المتغيرات الدولية التي حدثت؟

هل حدث إلا مزيد من إبادتنا في أفغانستان وفلسطين والعراق؟

ولعل الطرف الثالث الذي يبرر استخدام مصطلح (إسرائيل) هو الأخطر باعتباره يمثل النخبة من الباحثين الدارسين والأكاديميين، ومبررات استخدامه تستند إلى مقولة الموضوعية في البحث والصياغة والرؤية، ومقولة الموضوعية المستندة على التوثيق والعلمية والمقبولة في الإعلام الغربي والثقافة الغربية والعالمية.

فمفهوم الموضوعية المطاط والضبابي أوقع الكثيرين في مطب إشكالية الفهم، فأن تكون موضوعياً ليس معناه أن تكون مراقباً محايداً، وأعتقد أن الذي يكون مراقباً محايداً ليس له علاقة بالصراع، فهو ينظر من الخارج البعيد فيصف ويحلل ويطرح من خلال موقف منفصل تماماً عن قضية الانتماء والاحتراق بالنار، وحتى كبار الإعلاميين والباحثين الغربيين لم يكونوا حياديين مراقبين ولن يكونوا طالما يحكم العالم صراع بين الشعوب والحضارات والأديان والثقافات.

والموضوعية تتطلب أن تصف المجرم بما يستحق، وتصف جريمة القتل والإبادة بجريمة القتل والإبادة لا أن تصفها بأنها حادثة عابرة وصراع الأنداد والأضداد وصراع على أرض متنازع عليها وما إلى ذلك من تعابير ومصطلحات تعامل المعتدي والمعتدى عليه سواء بسواء.

فاستخدام (إسرائيل) بحد ذاته خروج على الموضوعية لأن هذا الاستخدام المجرد من الوصف الحقيقي الواقعي هو ابتعاد عن صدق الموضوعية وصحتها الإعلامية والثقافية، فالموضوعية تتطلب صدق الخبر وصدق التاريخ وصدق الواقعية، ومن ينكر أن وجود الكيان الصهيوني واستمرار بقائه هو خروج على أبسط أسس الموضوعية؟

إن الذي يحكم الباحثين الأكاديميين اليوم هو قـاموس المصطلـح الغربـي وليس قاموس المصطلح العربي أو الإسـلامي، وهـا هـي وسـائلنا الإعلامية تـردد مـا يصـدر الغرب من مصطلحات يوماً بعد يوم، فالوطن العربي يصبـح شـرق أوسـط. والكيـان المغتصب يصبح دولـة (إسـرائيل) والأرض المغتصبة تصبـح أرض (إسـرائيل) وعـرب فلسطين يصبحون عرب دولة (إسرائيل) يقيمون فيها مؤقتاً، فهم أقلية ومواطنون مـن الدرجة الثالثة، وقس على ذلك في كافة الأمور والقضايا.

المؤثرات السلبية لاستخدام المصطلـح: يدخـل الإعـلام بشـكل عـام فـي عـالم واسـع مـن علـم النفـس، حتـى أن كثيراً مـن البـاحثين يطـرح مصطلـح علـم النفـس الإعلامي بما للكلمة المقروءة والمسموعة من تأثير في المتلقي.

والمصطلح في الإعلام جزء أساسي في تركيبه ويلعـب نفس الـدور فـي نفسـية المتلقي وذهنه وردود أفعاله.

وحين نعاين أي فرد عربي ونرى مدى تأثير استخدام المصطلح (إسرائيل) عليـه سنرى أنه في الواقع الراهن قد تخلى عن كثير من أساسـيات فـهم الصـراع مـع محتـل احتل أرضه واغتصبها وبات يشكك بكل مقولات التاريخ التـي تعلمـها، وبكـل المثـل القومية الثورية والجهادية، وبات مستسلماً تماماً للأمر المفروض عليه فرضاً.

وتشمل تأثيرات المصطلح عدة منـاحٍ مـن حيـاة الفـرد بـدءاً مـن الطفولـة وحتـى الكهولة، فالطفل الذي تربى علـى مفـاهيم إسـلامية جهاديـة إسـلامية بـات المصطلـح يقول له: إن (إسرائيل) دولة موجودة لها تاريخها، وهي ليست عدوانية، إنما تريد أن تحيا بشعبها على هذه الأرض وقد عمل العدو الصهيوني على ترسيخ هذه المقولـة فـي ذهـن المواطـن العربي ونفسيته، وسيلعب استخدام المصطلـح دوره فـي تركيبـة هـذا الطفل، وينمو مع نموه، فيصل مرحلـة الشـباب وتكـون قضيـة الصـراع مـع المحتـل قـد تلاشت وهذا ما راهـن عليه كثيرون مـن زعمـاء الحركـة الصهيونيـة حيـث قـالوا: إن الزمن كفيل بحل القضية الفلسطينية.

وعندمـا ننظـر مليـاً إلـى الأجيـال العربيـة المعـاصرة نلمـس عـن كثـب هـذا التوصيف، فهذه الأجيال التي تربت على مصطلحات القبول بالأمر الواقع حتـى ولـو

كان خطأ لن تكـون مؤهلة لاستمرارية الصراع، بل ستكون معرضة بسهولة لكل أشكال الغزو والتطبيع ومن ثم استسهال سحقها وإذابة كل مقومات شخصيتها.

وتنسحب المؤثرات على كافة الأجيال والقطاعات الاجتماعية، فيرى الكبار أن كل نضالاتهم وشعاراتهم القومية والإسلامية الثورية ديست تحت الأقدام، وأن تاريخهم وتاريخ أمتهم المعاصر ما كان سوى كذبة كبيرة كانوا هم ضحاياها وليس سواهم.

إن الاستسلام للأمر الواقع حتى لو كان باطلاً يعود في أحد جوانبه لسبب إعلامي صرف، حيث يكرس الإعلام الاعتراف بدولة اسمها (إسرائيل) لها حدودها وأرضها وشعبها وسياستها وسيادتها، وما على الجماهير إلا أن تصدق ما يطلبه منها الإعلام، ولا شك أن ذلك يخلق أزمة نفسية وفكرية ووجدانية لدى المواطن بفطرته قبل ثقافته أن الكيان الصهيوني مغتصب للحق والأرض ويعرف أن ملايينَ من أبناء شعبنا الفلسطيني ما يزالون مشتتين أمام عينيه يراهم كل ساعة وكل يوم منتشرين في ضواحي العواصم العربية، وفي معسكرات التجمع في ألمانيا والسويد والدانمارك وغيرها.

كيف يطلب منه تغيير مفاهيم الحق وهو يرى بعينه الحق، وكيف يصدق وجود دولة اسمها (إسرائيل) وفي الوقت نفسه يرى من شُردوا من نفس الأرض التي تقام عليها هذه الدولة، إن هذا الشرخ النفسي سيؤدي بالتالي إلى انفصام في الشخصية، وهذا ما تسعى إليه جميع الدوائر الفكرية والنفسية والعلمية الصهيونية والغربية المعادية لعقيدة الإسلام والعروبة.

إذن وبعد كل هذا التوصيف ما الحل؟ ما البديل؟ وماذا نستعمل من مصطلحات في وسائل إعلامنا على شتى أصنافها؟

إن مشكلة استخدام المصطلح في الإعلام تقع في صلب مفهوم صدام الحضارات، وإذا كنا قد سقنا النموذج العربي الصهيوني كنموذج صراع وصدام، فإن أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى الصدام مع الغرب هو سبب مشكلة المصطلح، فهم لا يفهمون سوى ما تربوا عليه، ونحن نفهم ما تربينا عليه، إن كان ذلك في مفهوم

الحرية والاستقلال ومقاومة الاغتصاب والاحتلال، أو كان ذلك على مستويات الحريات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وقبل أي طرح لأي حل ذي جدوى وذي تأثير لا بد أن نشير إلى مسألة حساسة وخطيرة قبل أن نفكر بأي مصطلحات نخاطب بها جماهيرنا، فنحن وهذا العدو في حالة عداء أبدي طالما يحتل أرضنا ويعيث في الأرض فساداً، وحالة العداء هذه لا بد لها من إعلام تربوي توجيهي يرسخ مفهوم العداء، والعدو الصهيوني يرسخ العداء بشكل يومي بين طلاب المدارس في شتى أعمارهم، وكذلك في وحدات الجيش وكافة الإدارات المؤسسات الدينية والحزبية والحكومية ويرسخ العداء للإسلام المسيحية ولكل الأغيار على حد تعبيرهم، ولا نعتقد أنه من الذكاء والحس الإنساني أن نقابل الحقن اليهودي العنصري بحقن عربي متسامح ومتجاهل لأصول الصراع بين المغتصب والمغتصبة أرضه.

إن الصراع الطويل مرير، وإذا لم نحسن استخدام المصطلح السياسي في توجهنا وتربيتنا فإننا كمن يُجلد على ظهره ويقول: هل من مزيد، وسنخسر أجيالنا ومزيداً من أراضينا العربية، فالأجيال التي يمكن أن تواصل الصراع تحتاج لحقن صحيح يوضح دوماً طبيعة العدوان الصهيوني على أرضنا وأمتنا، ويوضح أن إدامة الصراع ليست غاية في حد ذاتها بقدر ما هي مواصلة الطريق الطويل نحو تحرير أرض فلسطين والقضاء على الفساد الصهيوني العالمي.

بعد ذلك يمكن لنا أن نعيد صياغة المصطلح الذي هو من مستلزمات العداء والكره للاحتلال والاغتصاب.

وأول هذه المصطلحات التي نحتاجها مصطلح الكيان الصهيوني الغاصب، وكلمة كيان لا تعني الثبات في المكان مثل كلمة دولة، وهو يعني بشكل أوضح سلطة تحكم وليس مجتمعاً ودولة، والواقع أن الذي يحتل أرض فلسطين هو كيان صهيوني سياسي قابل للزوال لأنه أساساً قائم على باطل.

ولا شك أن هناك قائمة طويلة من المصطلحات يجب استخدامها في هذا الشأن ومن أجل تلك الغاية. وهذه المصطلحات ترتبط بكافة جوانب هذا الكيان، ففي

الجانب السياسي علينا تكريس المصطلحات التالية، رئيس كيان العدو ورئيس وزراء العدو وزير خارجية العدو وقس على ذلك كل المصطلحات المترتبة بالجانب السياسي والدبلوماسي كسفير العدو وممثل العدو ووزارة العدو.

وفي الجانب العسكري علينا تكريس قولنا: جيش حرب العدو، قوات الاحتلال، شرطة الاحتلال، جنود الاحتلال، حرس الاحتلال، وفي الجانب الاجتماعي يمكننا استخدام التجمع الصهيوني، ثقافة التدمير الصهيوني، الفكر التدميري الصهيوني، التربية العنصرية الصهيونية، وقس على ذلك في كافة الأمور، فهي في المحصلة تكرس في عقلية المواطن مفهوم العداء للاغتصاب والاستلاب، وتكرس على المدى النفسي الاستيراتيجي إدامة الصراع بكافة أشكاله وألوانه، علينا أن نكرس مقولة فلسطين المغتصبة، وشعب فلسطين تحت الاحتلال وما إلى ذلك من مصطلحات الحق التي لا يمكن أن تحوّل أو تحرّف أو ينتقص منها أي حق.

الإعلام العربي والانتفاضة الفلسطينية:

شكلت الانتفاضة الفلسطينية المباركة مادة مهمة للإعلام العربي ولا سيما المحطات الفضائية الأكثر انتشاراً والأكثر جماهيرية.

ومن الطبيعي أن الانتفاضة الفلسطينية وتطورها إلى مقاومة ومواجهة وحرب حقيقية في جنين ونابلس وباقي الأراضي الفلسطينية شكلت وجهاً أسياسياً من أوجه القضية الفلسطينية لما لها من علاقة نسيجية مع القدس والمقدسات الإسلامية، ولما لها من أبعاد على مستوى القضية الفلسطينية بشكل عام.

لكن المراقب للوضع العربي وإعلامه يتراجع خطوات إلى الخلف مصدوماً مندهشاً وقد تصل صدمته حد التحجر أو الشلل.

ليس من قبيل المبالغة أن نقول ذلك، وليس من قبيل أن الفلسطينيين يرون الأمور مختلفة عن غيرهم، فالواقع الإعلامي العربي ليس إلا انعكاساً للوضع العربي الذي لا يخفى شأنه على أحد.

إن أول ما يلفت النظر إلى الإعلام العربي كيفية التعامل مع القضية الفلسطينية، فهل شكلت هذه القضية الهم الأول للعرب ولإعلامهم؟

الواقع يقول لنا: إنها لا تشكل الهم الأول ولا حتى الثاني والثالث.

فعلى مستوى الفضائيات تفضل بعضها الحديث عن أي حدث عالمي بارز على الحديث عن الانتفاضة الفلسطينية أو حتى عن القضية الفلسطينية بشكلٍ عام، وعلى سبيل المثال فقد أخذت انتخابات الرئاسة الأمريكية حيزاً في بعض الفضائيات وكأنها الحدث الأخطر على مستوى العالم، وفي الوقت نفسه كان العدو الصهيوني يغتال المجاهدين ويقصف البيوت الفلسطينية ويجرف الأراضي ويهدم المنازل ويقتحم القرى والمخيمات والمدن.

وتنقل بعض الفضائيات المؤتمرات الصحفية التي يجريها الرئيس الأمريكي أو زعماء الكيان الصهيوني وكأنها المفصل في كل القضايا وذلك على حساب نقل القتال الدائر بين الجيش الصهيوني والمجاهدين الفلسطينيين، أو نقل المجازر في مخيم جنين ومخيم بلاطة ورفح والخليل والمناطق الفلسطينية الأخرى، ولعل الأخطر من ذلك كله أن بعض المحطات كقناة الجزيرة والفضائية الأردنية وكذلك المصرية والموريتانية تستخدم خارطة الوطن العربي وفي قلبها (إسرائيل) وتضع خارطة فلسطين وعليها اسم الكيان الصهيوني وكأنها ألغت تماماً فلسطين من الوجود، وبعض المحطات وضعت مدينة غزة كعاصمة لدولة الضفة والقطاع وعاصمة السلطة الفلسطينية، ومعتبرة أن القدس عاصمة الكيان الصهيوني، أما على مستوى المصطلحات فإن بعض الفضائيات العربية كرست اسم (إسرائيل) مقابل مناطق السلطة، وتعامل بعضها مع الكيان الصهيوني كأمر وقع، وكما تتصل بعض الفضائيات بمسؤول بالسلطة تتصل بإعلامي صهيوني أو مسؤول يهودي لتنقل وجهة نظره في المسائل التي تجري، وكأنها تريد أن تقول عن نفسها: إنها تعبر عن مستوى حيادي حضاري موضوعي، وهذا ما يبرز موقف بعض الدول العربية التي نفضت يدها من القضية الفلسطينية وباتت تشكل إعلاماً متفرجاً على ما يجري من مذابح واغتيالات وقصف للبيوت وتدمير لكل البنى التحتية للشعب الفلسطيني، وكل ما يجري في الأراضي الفلسطينية ليس إلا مباراة لكرة القدم: وعلى مستوى الأولويات إذا رصدنا البرامج التي يبثها أغلب الإعلام العربي نجد أن البرامج الخاصة بالقضية

الفلسطينية لا تشكل 10٪ بالمائة من البرامج التي تبث، وبعض المحطات كرست نفسها لنقل مباريات كرة القدم التي تجري هنا وهناك، فتارة تنقل الدوري الإنجليزي أو السعودي أو الفرنسي أو البرازيلي وتأتي بأخبار رياضية من بلاد قد لا يسمع به المرء إلا نادراً، وبعض المحطات كرست للمخاطبة باللغة الإنجليزية فتنقل فيلماً أميركياً لمدة ساعة أو أكثر ثم يعقبه فيلم آخر قد يكون فرنسياً، وبرامج عن الحيوانات والبحار أو مسابقات الكلاب والقطط ونوادر الشاذين والمغامرين، وكأن المحطة تعيش في عالم آخر ليس موجوداً بالقرب من فلسطين وما يجري فيها.

ويطغى الإعلام القُطري في معظم الأقطار العربية فالأخبار المحلية تطغى على كل شيء، وإذا زاد متسع من الوقت تحدثوا عما يجري في فلسطين بشكل مقتضب ومكثف، وهذا السلوك الإعلامي من شأنه أن يمتص نقمة الجماهير ويلهيها عن القضية المركزية للأمة وهي قضية فلسطين.

وعلى سبيل المثال لا الحصر ظلت المحطات منشغلة عدة أيام للحديث عما جرى من اتفاق بين قطر والبحرين حول ترسيم الحدود وتقاسم الجزر والمياه، والأدهى من ذلك أن محكمة العدل الدولية التي يحكمها قضاة غربيون غير مسلمين هي التي رسمت الاتفاق، وكأن العرب افتقدوا للقضاة والمحامين والمحكّمين لحل مثل هذه القضايا، وكأن هذا الحل بين قطر والبحرين أبطل مفعول حرب عالمية كونية أوشكت على الوقوع، بينما تقع حرب حقيقية على الشعب الفلسطيني يقتل فيها أطفاله ونساؤه بالعشرات، وتُدمر بيوت أبنائه وتنتهك مقدساته وحرماته والإعلام لدى بعض العرب في أغلبه يركز همه على قضية أكبر بكثير من قضية فلسطين هي قضية تثبيت الحدود القُطرية بين البحرين وقطر.!

ومن مساوئ هذا الإعلام لهجة الاستسلام والترويج لما يُسمى الأمر الواقع، وهذا من أخطر ما تطرحه بعض المحطات العربية حيث أنها تقدم برامج سياسية وفكرية ساخنة تهدف من ورائها التسليم بالأمر الواقع وهو الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب، والاعتراف بحق اليهود المزعوم في العيش بأمان في دولة ومجتمع،

والاعتراف بأنه خطأ كبير التفكير بتحرير الأراضي المحتلة، وأن الحل الوحيد المفاوضات برعاية واشنطن ولا يجوز الابتعاد عن هذا الخيار!

فالناظر إلى برنامج أكثر من رأي، وبرنامج الاتجاه المعاكس، دليل على ذلك فظاهر البرنامج الوقوف إلى جانب طموحات الجماهير المظلومة، بينما باطنه يطرح أساليب للإحباط وعدم جدوى التصلب في وجه الواقع الذي يضخمونه ويكبرون قواه المحلية العالمية، ويصغرون من شأن المقاومة الفلسطينية ومستقبلها على ضوء الواقع الراهن عربياً ودولياً وفلسطينياً.

ولعلنا نعرف أن من أهم أساليب الإعلام التضخيم والتصغير والتشويه، فمن جانب تسعى بعض المحطات إلى التقليل من العمل الجهادي الاستشهادي الذي يقوم به أبناء فلسطين، بينما تسعى لتنظيم عمل لا يكون مؤثراً على المستوى الميداني لكنه يخص جهة ما دون جهة، وهذا الأسلوب الخبيث من شأنه أن يخلق جواً من التوتر بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد الذي لا يهمه سوى الرد على العدو الصهيوني المحتل، وهذا الشعب ليس في حسابه من ينفذ العمل الجهادي وإنما في حسابه أن يكون هناك رد على العدو، والأمر الأبشع هو التشويه، فبعض المحطات كرست بعض برامجها للحديث بطريقة مريبة عن مجريات الأمور الاجتماعية في بعض المدن الفلسطينية والتي قام أبناؤها ليلة عيد الأضحى المبارك بشراء الحلوى والملابس الأمريكية الصنع، وأرادت من ذلك أن تقول: إن الفلسطينيين لا يعانون من حصار فهم في بحبوحة من العيش، ثم تريد من وراء ذلك تشويه صورة نضال الشعب الفلسطيني أمام العالم خاصة أن الشعب الفلسطيني يعيش أسوأ حالات الحصار والحرب الحقيقية، بينما تنقل بعض المحطات صوراً أخرى وكأنها تقول: لا تصدقوا الشعب الفلسطيني، لا تصدقوا معاناته، وهم بذلك يلتقون مع الإعلام الصهيوني الذي يروج لهذه المقولات.

وعندما جرى ما جرى في شهر نيسان وما بعده، وعندما بلغت المجازر الصهيونية في جنين ونابلس ورفح ذروتها، غيرت بعض المحطات أسلوبها بأن أصبحت تروّج لمقولة السلام ورفع الحصار طالما أن الفلسطينيين غير قادرين على صد

العدوان الصهيوني، وطالما أن العرب مشغولون عن القضية عاجزين عن فعل أي شيء لدعم ذلك الشعب الفلسطيني المحاصر.

والأدهى من ذلك أن بعض المحطات تركز على صور معاناة المدنيين اليهود جراء عملية استشهادية، ولا تركز على صور جنود الاحتلال الذين يُصرعون أثناء القتال مع المجاهدين الفلسطينيين، وعلى سبيل المثال فالعملية التي جرت في حيفا وقتل فيها الجنود الصهاينة الاحتياط لم تأخذ حقها من البث خاصة أن القتلى من الجنود كانوا على الأرض وثيابهم العسكرية تدل عليهم، بينما العملية التي جرت في القدس بعدها تم التركيز عليها مراراً وتكراراً لتُظهر امرأة يهودية وهي مصابة بالصدمة ويساعدها في التنقل اثنان من الشرطة الصهيونية.

ولابد من الإشارة هنا إلى منهج محطة الشارقة الفضائية المختلف عن بعض المحطات الأخرى فهي تلتزم القضية الفلسطينية القومية بدءاً من استخدام المصطلح وانتهاء بالدعوة للجهاد في سبيل تحرير فلسطين، فكل صهيوني مغتصب مهما كانت طبيعته عسكرية أم استيطانية، ولا تعترف بأمر واقع مفروض مثلما تفعل محطة الجزيرة أو غيرها من محطات الدول العربية التي تقيم علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني.

إن بعض الإعلام العربي تربى منهجياً على الإعلام الأمريكي والغربي بشكل عام إن كان بكوادر من المشكوك بانتمائها وعقائدها، أو كان بأساليبه التي اكتسبها من خلال الدورات والخبرات الإعلامية التي جرت وتجري في الإعلام الغربي المعادي لقضية فلسطين وطموحات أبناء الأمة، إن معاناة حقيقية يعيشها المواطن العربي وسببها الهجوم الإعلامي التخريبي للإعلام التغريبي المتصهين، فهذا الإعلام كما رأينا نشط كثيراً واتخذ من الوسائل والأدوات ما هو أكثر خطراً على الأمة وأكثر مكراً وخبثاً من الإعلام الغربي ذاته.

فعلى الرغم من أن كثيراً من المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين يحذرون دوماً من الانجرار وراء دعايات الإعلام التغريبي، إلا أن كثيراً من الظواهر التي كان هو سببها بدت منتشرة في جوانب عدة من حياتنا المعاصرة، حتى أن بعض المنظرين يقول

مثلاً: إن العولمة سيل جارف لن تقف أمامه أي قوة من القوى الوطنية أو القومية أو الإسلامية، وإن الغزو الثقافي لا بد حاصل في منطقتنا مهما تصدت له العقول والأفكار.

والواقع أن القوى المعادية للأمة من صهاينة وعنصريين غربيين لم يعد يهمها خاصة بعد أحداث 11/ 9 التي استغلت هذا السياق لأقصى حد ممكن أن تصطدم بالفكر الإسلامي مباشرة ولا بمخزون الأمة من رصيد عقيدي لأنها استطاعت بتأثيراتها أن تزرع في نفوس الكثير من أبناء الأمة أفكاراً تغريبية، وأصبحوا امتداداً للفكر الغربي يزرعون عدم الثقة بالذات والتراث، ويزرعون اليأس ويروجون لأفكار ظاهرها إنساني وباطنها إلغاء الهوية والدين وما استقر وتوارث من عادات وتقاليد ومثل حميدة.

ولعل الأخطر من ذلك أن أصحاب الإعلام التغريبي باتوا كما رأينا يمتلكون وسائل إعلامية غاية في التطور والاتساع، من محطات فضائية وصحافة ومجلات وعقد ندوات ومؤتمرات وطباعة كتب وكراسات تتجه جميعها لقلب كثير من المفاهيم الإسلامية وتطويعها وفقاً للمنظور الغربي ولمصالحه الفكرية والثقافية والسياسية، وهذا أمر يستدعي التوقف والتفحص لأساليب المواجهة والتحصين أمام كل أشكال التغريب.

1 ـ على المستوى السياسي أو مستوى الصراع مع العدو الصهيوني نشطت وسائل الإعلام التغريبية في حملة الإقرار بوجود الدولة الصهيونية على أرض فلسطين، وعلى العربي والمسلم أن يقبل بالأمر الواقع، وإمعاناً في ذلك راحت أجهزة الإعلام المرئية والمكتوبة تُجري اتصالات صحفية وفكرية مع رموز الكيان الصهيوني وتفرد لهم مساحات واسعة على شاشاتها وكأن ذلك أمر طبيعي وكأن لهم الحق ابتداءً في الوجود على أرض فلسطين، وكأن لهم الحق في الحوار، ولهم الحق في الدفاع عن جرائم الكيان اليومية تجاه الشعب الفلسطيني، وأصبح من ينادي بعروبة القدس وأرض فلسطين عدمياً لا علاقة له بالواقع المعاش، أو أنه من عصر متخلف لا يستوعب الحاضر، وحذف هذا الإعلام الأولويات

الفلسطينية والعربية والإسلامية كحق الجهاد، وشرعية المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني، وحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، واعتبار العدو الصهيوني العدو الأساس للأمة العربية والإسلامية، منذ وجوده وحتى الآن.

وعلى مستوى التفاصيل تجد المصطلح الإعلامي الذي يتداولونه مشبعاً بهذه الوضعية وهو ما يمكن ملاحظته ببساطة في التعابير التي تصف العمليات الاستشهادية بالعمليات الانتحارية، أو القول مثلاً: (قتل الجنود الإسرائيليون عدداً من المتسللين الفلسطينيين إلى إحدى المستوطنات الصهيونية، أو اعتقلت السلطات الإسرائيلية عدداً من الفلسطينيين يشتبه بقيامهم بأنشطة معادية (لإسرائيل) وهي تعابير واضحة في هذا المجال ولا تتطلب توضيحات إضافية.

وحين ركز الغرب على مقولة الدولة القومية القطرية وكرسها، بات أبناء الأمة على قناعة بهذه المقولة، حتى أن بعض دهاة السياسة البريطانية يصرح بأن بروز الدولة القومية القطرية طغى على كافة التيارات القومية العربية أو التيارات العربية الإسلامية، وظهر أن وجود الأقطار العربية بهذا الشكل الانقسامي قد أصبح جزءاً من مستقبلها، ولا وجود لأية طموحات وحدوية سياسية أو اقتصادية.

أما عن الارتباط السياسي فقد آلت الأمور إلى الارتهان لسياسة القوة الغربية وعدم القدرة على تحقيق الاستقلال الذاتي السياسي، وقد لعب الإعلام التغريبي دوره في تثبيت التبعية السياسية وذلك من خلال تهميش قدرات الأمة وتوجيهاتها المستقلة النابعة من ذاتها والواعية لظروفها وخصوصيتها على الساحة الدولية والإقليمية.

2 ـ على المستوى الثقافي والفكري فإن مظاهر الإعلام التغريبي تظهر بشكل أوضح وأفظع، فمجموعة المنظومات الثقافية والفكرية التي كانت تمتلكها الأمة باتت مهددة، إما بالتشويش والتشويه، وإما بالبتر والقطع، وإما باستبدال مصطلح بمصطلح، أو استبدال فكر بفكر، وكل ذلك يشكل جزئيات في تيار كبير يصبه الإعلام التغريبي باتجاه تخريب قيم الأمة ومثلها على المستوى اللغوي، مثلاً لم يعد هناك حرج في أن تقدم وسائل الإعلام كل برامجها وأخبارها باللهجات

المحلية العامية وذلك بحجة أن العربية كلغة غير صالحة للتخاطب مع الجماهير، وأن العامية تفصح عن خصوصية كل شعبٍ وكل بلد، وقد أحيت بعض وسائل الإعلام التغريبي المقولات المحلية اللغوية التي ظهرت في العشرينات من القرن الماضي في قُطرٍ أو أكثر.

3 ـ على مستوى الإبداع الأدبي فقد دعا الإعلام التغريبي للتحلل من الشكل الفني ومن المضمون، وأصبح من الواضح أن هناك هوة سحيقة بين الشعر وبين الجماهير، فقد زهد جيل الشباب بكل النتاجات الشعرية إلا ما ندر وذلك بسبب تهافت هذا الفن وفقدانه لمضامينه التي درج عليها في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، وكأن ظروفنا العامة قد تغيرت لصالحنا، حقاً وكأننا قد حررنا فلسطين وبنينا المجتمع المستقل حقاً، وحلت مشاكل جماهيرنا فعلاً.

وإذا تلمسنا الرواية والقصة وجدنا أن أكثر حالات المضمون لا تخرج عن الطابع الاغترابي أو الحسي الفظ، وقد رأينا العديد من الأعمال الإبداعية في أكثر من بلد قد تهافتت لدى كثير من المبدعين.

أما الجانب الأخطر في المستوى الثقافي، فهو تقبل الغزو الثقافي الغربي الصهيوني والترويج له تحت شعار الثقافة الإنسانية الواحدة، والإبداع الإنساني المشترك، فالأفلام الأمريكية الصهيونية تطرح بشكل واضح على بعض الشاشات المرئية مركزة على التعاطف مع اليهود المضطهدين الذين راحوا ضحية المحرقة النازية المزعومة، وقد بُث بعض البرامج الملغومة في هذا الشأن على مدار الأعوام الماضية في بعض المحطات، بينما يحاكم ورجيه غارودي وغيره من المؤرخين الغربيين بتهمة التحريض ضد اليهود لأنه وأمثاله قد كذّبوا الدعايات الصهيونية الملفقة والقائلة بوجود محرقة نازية راح ضحيتها ستة ملايين يهودي.

أما على مستوى الكتاب فقد وجد دعاة التغريب أن الكتاب من أهم الوسائل الناجحة في الطعن بالدين والأخلاق والشخصيات... وراح بعضهم ينادي بعدم الأخذ بالسنة النبوية الشريفة، وبعضهم الآخر راح يروج بأن القرآن الكريم كتاب تراثي وليس كتاب الله المنزّل، وليس دستور المسلمين الباقي والصالح لكل زمان

ومكان، وقد روج الكثيرون أمثال سلمان رشدي المرتد من الذين يقتنصون الظروف كي يثبتوا أفكارهم المماثلة في المجتمعات العربية والإسلامية، ونذكر على سبيل المثال كتاب إنذار من السماء لنيازي عز الدين، والكتاب والقرآن لمحمد شحرور، وبعض الكتب التي كتبها الأستاذ الحداد (كالقرآن والمسيحية) ومؤلف كتاب (قس ونبي) الحريري.

أما على المستوى الاجتماعي، فقد استطاع الإعلام التغريبي أن يروّج للانحلال الخلقي والتمرد على كثير من القيم والمثل الإسلامية، وكانت أهم وسائله الدعوة إلى تمثل المجتمعات الغربية التي رفضت القيود وتحللت من الإطار القانوني والقانون الأخلاقي الضابط للسلوك والعلاقات بين الناس، وروجت لمفهوم الحرية الغربية بشكل فج وجريء بل إن هذا الإعلام دافع عن الدعوات الشاذة التي أطلقها الشاذون في مؤتمر بكين للمرأة، ومؤتمرات السكان والتنمية التي عقد بعضها بالقاهرة وأمريكا اللاتينية، وإضافة لهذا الترويج فإن وسائل الإعلام التغريبي هاجمت وبشكل ملفت للنظر منظومة القيم والمثل الإسلامية التي يتمسك بها الكثيرون من جيل الشباب والشابات، وبدت تظهر في وسائل الإعلام مقولات خطيرة تخص الأجيال الناشئة كمقولة الإرهاب والأصولية، أو مقولة الكبت النفسي والعصاب والأمراض النفسية الأخرى كانفصام الشخصية.

وحاولت هذه الوسائل ربط كل السلبيات النفسية وآثارها بالإسلام وقد استغلت إلى أقصى حد ممكن فيما بعد أحداث نيويورك وواشنطن، فلذلك روجت للخروج عن الإسلام وأحكامه، وكان من أثر ذلك أن أوجد بعض مروجي التخريب من اليهود بعض التجمعات الشبابية في بعض البلدان العربية تدعو إلى عبادة الشيطان ومحاربة الإسلام، وقد استخدموا في ذلك كافة الوسائل اللاشرعية في الوصول إلى هدف تدمير شامل للشباب كوسيلة إباحة الجنس، وشرب الدماء، وحفر القبور، وإخراج الجماجم وما إلى ذلك من أمور لا يتقبلها عقل ولا منطق ولا دين.

وعندما نعود متفحصين الموقف التربوي القرآني، فهي في البداية تحصين للذات المسلمة أمام المؤثرات النفسية والفكرية التي يصبها الإعلام التغريبي باتجاه الجوانب النفسية والعقلية لدى المسلم.

والواقع أن الاستجابة النفسية هي أولى الخطوات باتجاه تقبل الإعلام التغريبي فما لم يكن لدى المسلم أو الإنسان بشكل عام ميل عاطفي بهذا الاتجاه فلا يتأثر، ولا يكون فريسة يصطادها المغتربون، لهذا كان القرآن الكريم دقيقاً في وصف هذا الميل وكان شديداً في التحذير منه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 165] ومن الطبيعي أن الحب البشري يولد في الذات انشغالاً عن حب الله.

ولكن هذا الميل وهذا الحب لا يتوقف عند ظاهرة نفسية فردية فهو قد يتطور باتجاه الموالاة والنصرة والدفاع عن موقف.

يقول تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 28]. فهذا النهي لا يقتصر على حالة التحالفات والحروب إنما هو نهي مطلق، فكل ما يصدره أعداء الإسلام هو في المحصلة لتشويه الدين وتشويه الذات المسلمة.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: 73].

فهنا قانون إلهي، دستور رباني يبيّن للمسلمين منهج التعامل مع الذين لا يتبعون الدين القيم، بل هو يطلب الحذر وعدم التهاون النفسي والأمني مع أعداء الدين من يهود وغيرهم.

وحين نعود إلى بعض أساليب الإعلام التغريبي نرى أنها ذات مصدر يهودي استعماري، وهي كما أوردنا سابقاً تحاول أن تشوه في آيات الكتاب المبين، وتشوه في شخصية رسول الله ـ ﷺ ـ وتحاول أن تكرس أخلاقاً غير الأخلاق الإسلامية.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 57].

فمن هم الذين يتخذون الدين لهواً وهزواً أو لعباً وسخرية غير الصهيونية اليهودية التي تمتلك وتنفذ مشروعها في هزيمة العرب والمسلمين والسيطرة عليهم واستغلال ثرواتهم؟

والواقع أن الإعلام التغريبي الذي يروج لثقافة الغرب ومقولاته السياسية والفكرية لا يضع ضمن أهدافه صالح الأمة ولا صلاحها، إنما يضع في أولوياته تخريب القيم التي تربي المسلم على حب الجهاد وعزة النفس وعدم الذل والتصدي للظلم.

يقول الله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران: 119 ـ 120]

فالحب كما أشرنا هو الميل، وإذا كان الميل لأعداء الدين من يهود وغيرهم فإنه أيضاً حب لما يقوله هذا العدو.

أليس حب المطبّعين ينطلق من ميل لأعداء الدين من يهود وغيرهم؟

أليس الميل إفساحاً لطرق دخول الغزو الفكري والحضاري الغربي المادي؟.

والواقع أن جل ما يهدف إليه الأعداء من خلال الإعلام التغريبي هو أن يزحزحوا المسلم عن دينه وأخلاقه، ومن ثم يَسهُل اصطياده والسيطرة عليه والتحكم بمصيره ومصير ثرواته.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: 149 - 150]

ففي مواجهة الإعلام المعادي والإعلام التغريبي الذي يروج للصلح والاستسلام مع المحتلين الصهاينة لا بد من العودة إلى التحصين الحقيقي المستند إلى القرآن الكريم فالتشكيك بالإيمان بالله لا بد أن يواجه بترسيخ الإيمان بالله، والتشكيك بقدرة الأمة على النصر وتحقيق الذات على كافة الأصعدة لا بد أن يوجه بترسيخ الثقة بالله وبقدرة الأمة على بناء الذات والنصر في كافة مجالات حياتها.

والطعن في القرآن ولغته لا بد أن يواجَه بمزيد من الحرص على القرآن الكريم ولغته العربية، والترويج لمقولة أن الكيان الصهيوني موجود في فلسطين كأمر واقع لا بد أن يواجه بآيات القرآن الكريم التي حثت على اقتلاع الفساد اليهودي والعلو الصهيوني.

عودة إلى القرآن الكريم ترينا سبل التحصين أمام الهجمات التغريبية الصهيونية التي لا تريد لأمتنا الخير ولا التقدم، إنما تريد لنا أن نكون مذلولين مهانين لا حول لنا ولا قوة.

الإعلام والعلاقة بين المسلمين وفلسطين

كيف ينظر الغرب لها وما هي حقيقتها؟

تحدثنا في سياق الفصول السابقة عن قضية فلسطين في الحوار بين الشرق الإسلامي والغرب، واستكمالاً لما سبق رأينا أنه لا بد من التوقف عند بعض الوقائع التي استجدت على الساحة الفلسطينية والتي كشفت بالكامل موقف الغرب من هذه القضية إن كان موقفاً عقيدياً أو سياسياً، وهذه المواقف تؤكد ما تحدثنا عنه سابقاً من

أن الغرب سيظل على رؤيته القاصرة لقضايانا مما يحول بالتالي دون الحوار إن كان حوار حضارات أو حوار أديان وشعوب.

وقد بدا واضحاً أن الفكر الغربي يفهم الصراع الدائر في فلسطين مجرد صراع على الجغرافيا فحسب، ويبدو أنه يرى تمسك الأمة العربية والإسلامية بأرض فلسطين مجرد هوس له أبعاده النفعية ـ التجارية ـ وليس له أية أبعاد أخرى، وهذا ما يدفعنا لتناول هذه المسألة إضافة لملامسة الواقع والفهم الغربي لقضية فلسطين وارتباط العرب والمسلمين بها.

1 ـ الوسيط الدولي السابق في أفغانستان وفي (20/ 9/ 2001) بيار لافرانس أدلى بكلام لمجلة الوسط يفصح فيها عن الرؤية الغربية وفهمها لقضية فلسطين وقال في هذا: (من المؤكد أن العالم المعاصر يولد اليأس في بعض المناطق خصوصاً الشرق الأوسط حيث يعيش العرب والمسلمون حال هوس بالمسألة الفلسطينية.

بداية قد نعذر السيد بيار لافرانس لأن الفكر الغربي بشكله العام مازال يفهم قضية فلسطين وعلاقتها بالعرب والمسلمين فهماً أحادي الجانب، يتوقف عند المسائل الظاهرة البعيدة عن عمقها الديني والنفسي علاوة على أبعادها الوطنية والقومية والجغرافية وما إلى ذلك.

ومنذ زمن استطاعت الصهيونية غير اليهودية (البروتستانتية) أن تزرع في العالم الغربي برمته فكرة أن فلسطين هي حق لليهود، وهذا الحق منحه الله لشعبه المختار، وترسخت هذه المقولة في عقول الشعوب الأوروبية ونفوسهم وطقوسهم الدينية.

فعندما يقيّمون الصراع الحاصل في فلسطين بين العرب والمسلمين من جهة والصهاينة من جهة أخرى لا تغيب عن أذهانهم تلك الأساطير التوراتية عمّا يسمى أرض الميعاد أو أرض (إسرائيل) وقد يجد بعضهم أنه من الغريب أن يطالب العرب والمسلمون بفلسطين كونها حسب فهمهم منحة إلهية للشعب المختار أي: اليهود، ومن هذا المنطلق الأسطوري تتحرك السياسات الغربية تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسلامي الصهيوني حولها.

حتى أن تَصُور أي حـل للمشكلة الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني في الرؤية الغربية لن يطالب الصهاينة وقوات الاحتلال الانسحاب من القدس مثلاً أو رفع اليد المحتلة عن المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة هذا على أقل تقدير، لأن الرؤية العربية الإسلامية ترى في فلسطين حقاً دينياً قومياً وطنياً مقدساً.

وتتوقف الرؤية الغربية عند حدود الفهم لما تقدمه الحركة الصهيونية من أبعاد دينية توراتية، فإذا أراد الغربيون تحليل الموقف العربي الإسلامي تجاه فلسطين توصلوا إلى ما يصفونه بحالة هوس أو جنون كما قال بيار لافرانس.

لماذا لا يتجاوز المفكرون السياسيون الغربيون هذه الحدود؟

لماذا لا يبحثون عن هذا الذي يسمونه هوساً أو جنوناً من قبل العرب والمسلمين تجاه فلسطين؟

ما الذي تشكله فلسطين في المخزون الديني العربي الإسلامي؟

أسئلة من المفترض أن يفتش الغربيون عن أجوبتها بشكل موضوعي لا تحيّز فيه حتى يدركوا أن حالة العرب والمسلمين تجاه فلسطين ليست هوساً أو جنوناً.

ففي المنظور العربي المسيحي تشكل فلسطين مهد المسيح ـ عليه السلام ـ ونقطة إشعاع العقيدة النصرانية إلى العالم وأرض الشهداء النصارى الأوائل الذين عانوا الظلم والرفض والاضطهاد من قبل الرومان الوثنيين المحتلين والمتهودين من الفرّيسيين وغيرهم.

وإن كانت دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ أولى ضحايا الظلم الوثني اليهودي المارق فإن شعب فلسطين العربي الكنعاني هو الذي تلقى أقسى أنواع الهجمات البربرية قبل مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ بألف ومائتي عام، وفي هذا المنظور العربي المسيحي فإن السيد المسيح لم يرض ولن يرضى أن تكون الأرض المباركة التي تجول فها يدعو إلى الحق والصواب عرضة للرجس أو أن تداس من قبل أي غازٍ أو محتل منحرف عن عقيدة التوحيد الإنسانية التي نبعت من الشرق وروح الشرق العربي الإسلامي.

وفي هذا الإطار لا بد أن نتوقف طويلاً عند الموقف المسيحي الغربي تجاه ما حدث لأرض المسيح وكنيسة المهد في شهر نيسان من عام 2002.

فبعد أن أطبقت قوات الاحتلال حصارها على مدينة بيت لحم لجأ إلى كنيسة المهد أكثر من مائتي مواطن فلسطيني وبينهم قساوسة ورهبان يخدمون الكنيسة، فأقدمت قوات الاحتلال على حصار الكنيسة ومنع الطعام والشراب عمّن فيها ثم عمدت إلى قصفها فاحترقت بعض جوانبها، وراح القناصة من الصهاينة يطلقون النار على كل رأس يطل من نافذة أو على أي شخص يحاول الهرب منها وقد بلغ عدد الشهداء من المواطنين الفلسطينيين داخل الكنيسة سبعة وجُرح آخرون، ومرة أخرى وثالثة ورابعة قصفت الكنيسة وشبت النيران في بعض البيوت التابعة لها.

ودام حصارها أكثر من شهر فماذا كان الموقف الغربي المسيحي مما حدث؟

لقد سقنا هذا السؤال لنبين أن أرض فلسطين وكنيسة المهد هي ألصق بالمسيحية الشرقية، وما المسيحية الغربية سوى وجه سياسي آخر لأوربا يتستر بستار الدين المسيحي، فلوا أن المسلمين هاجموا كنيسة المهد وحاصروها وقتلوا ممّن بداخلها شخصاً أو أكثر لقامت الدنيا ولم تقعد ولأعلنت الغرب حرباً صليبية نووية على المسلمين وبلادهم، ولكن طالما أن اليهود الصهاينة هم الذين حاصروها وقتلوا بعضاً ممن احتمى بها فالأمر مختلف تماماً، ويبدو أن الغرب مستعد لكشف وجهه الحقيقي البعيد كل البعد عن العقيدة المسيحية، ومستعد كي يقول: إن الغرب ليس له علاقة بالمسيح طالما أن المسيح فلسطيني من بيت لحم وبيت المقدس والناصرة.

وهنا لا بد أن نذكر أن حوار الأديان الذي يُطرح كجزء مما يسمى حوار الحضارات أو الشعوب يفقد جوهره وأسبابه لأن الغرب لا يمثل المسيحية ولا بأي وجه من الوجوه، فمن يحاور المسلمون؟

ومن أجل ماذا؟

ما موقف الكنيسة البابوية الفاتيكانية مما حدث في بيت لحم؟

لا نريد أن نعيد المواقف النظرية التي أعلنها البابا ولم تتجاوز آذان العالم المسيحي الغربي ولا آذان قوات الاحتلال الصهيوني.

وصمت العالم الغربي المسيحي صمت القبور، إن ما يحدث في كنيسة المهد وأرض فلسطين يخص العقيدة النصرانية العربية حتماً، وليس له علاقة بالغرب الذي يدعي المسيحية كذباً وبهتاناً وإذا انطلقنا نحو المنظور الإسلامي فإن فلسطين تشكل محور الكون العربي الإسلامي العالمي ليس فقط لمكانتها الجغرافية، بل لمكانتها العقدية التي لا تضاهيها مكانة في الأرض كلها سوى مكانة البيت الحرام في مكة، ففي كافة أقطار الدنيا يعيش المسلمون مع عقيدتهم من خلال القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فهذا القرآن على الرغم مما فيه من أحكام التشريع وقوانين الحياة الدنيا والآخرة إلا أنه يمنح قارئيه تعرفاً فريداً من نوعه لمكانة فلسطين وقدسيتها.

وذلك من خلال سورة الإسراء التي تنفرد بين سور القرآن كله بربطها للمسجد الأقصى بالمسجد الحرام.

فجميع المسلمين الذين يرون في القرآن الكريم كتابهم المقدس المنزل من السماء يرون في سورِه منهجاً متكاملاً للحياة ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولا شك أن أكثر من مليارَ مسلم يقرأ سورة الإسراء ويفهم على أقل تقدير أن هناك مكانين مقدسين خاصين لله سبحانه هما المسجد الحرام والمسجد الأقصى ورد ذكرهما في آية واحدة من سورة واحدة.

إن الرؤية الإسلامية يمكن أن تتخلى عن هذا الفهم إذا تخلت عن سورة من سور القرآن الكريم وتناستها، وهذا بالطبع يسلخ المسلم من عقيدته ويفصله فصلاً تاماً عن قرآنه العظيم بل وتُنزع عنه صفة الإسلامية.

وما الذي يعنيه ربط القرآن الكريم المسجد الأقصى بالمسجد الحرام؟

فهذا حسب رأي بعضهم تقديس إلهي لا يعني أكثر من التعلق الروحي بهذين المكانين وهذا التعلق لا يتجاوز الجانب الغيبي للمسألة.

وقبل أن نجيب عن السؤال الذي يبحث عن الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وأبعاده في الرؤية الإسلامية نضع أمام الذين يصفون العرب والمسلمين

بالمهووسين تجاه فلسطين مسألة لا شك أنها تعيد نصف التوازن للرؤية الغربية تجاه ذلك التحليل وتلك المقولات.

كيف ينظرون إلى العلاقة بين فلسطين واليهود أليست الرؤية التوراتية والأبعاد الدينية حكمت الفكر الغربي فاعتبرت فلسطين أرض ميعادهم ويجب أن يعودوا إليها؟

فإذا كانوا يؤمنون بأن خرافات التوراة حقيقة إلهية أو حقيقة ميتافيزيقية يجب أن يتقيدوا بها فعليهم أيضاً أن يدرسوا الأبعاد الدينية لمكانة فلسطين لدى المسلمين، ولا يجوز في المنطق الموضوعي أن نقر هذا ونرفض ذاك، لقد سعوا منذ أمد بعيد إلى خلق تصور عملي لتهجير متهودي العالم إلى فلسطين، وإقامة كيان يهودي خالص في المنطقة، وأصبح من المعروف الآن أن الكيان الصهيوني يضم في تجمعاته عشرات العروق والأجناس غير المتجانسة لا في اللون ولا في الثقافة ولا في المنبت والأصل، واخترعوا لهذه العروق والأجناس عقيدة غربية في استعمار فلسطين وتهجير أهلها منها.

ويبدو أن الغرب لا يريد أن يعترف بالبعد الديني الإسلامي والمسيحي العربي لفلسطين طالما هو لا يعترف أصلاً بالدين الإسلامي ولا بالمسيح العربي الفلسطيني ولا بالرسالة التي كُلف بها رسول الله ـ ﷺ ـ فهو يريد إسلاماً على مقاسه إسلاماً يلغي أية علاقة بين المسلمين وفلسطين وخاصة المسجد الأقصى.

وقد ظهر ذلك مراراً وتكراراً في تفكيره السياسي وحتى في تطلعاته الاستراتيجية، وحسب ذلك التصور فإن الإسلام الذي يرى في فلسطين محور الصراع بين العرب والمسلمين من جهة، والصهيونية وحلفائها من جهة أخرى، هو إسلام إرهابي تجب محاربته والقضاء عليه، أما اليهودية الصهيونية التي ترى في فلسطين –إسرائيل ـ وترى في المسجد الأقصى الهيكل الخرافي فهي على حق، وحسب تصوره فإن من حق هذا الكيان المغتصب الدفاع أو الهجوم من أجل الحفاظ على وعد خرافي ينسبونه لله، بل إن التصور الغربي يؤمن إيماناً راسخاً بأن دعم الكيان الصهيوني بالمال

والسلاح والدعم غير المحدود هو واجب مقدس من يقصر به فهو آثم ويعمل ضد إرادة الله.

وفي كل الأحوال فإن التصور الغربي لم يفهم بعد العلاقة بين المسلمين وفلسطين، أو لنقل إنه لا يريد أن يفهم تلك العلاقة المتجذرة بين فلسطين ومن يفهم مقاصد القرآن الكريم ويتضح ذلك حين يُبرِز صوتٌ إسلامي في أفغانستان أو نيجيريا أو جنوب الفلبين أو في المنطقة العربية العلاقة الحقيقية بين الإسلام وفلسطين تلك العلاقة التي تؤكد تأكيداً راسخاً أن الصراع في فلسطين هو محور التصادم بين الغرب والشرق الإسلامي، وكل الصدامات والصراعات بين المسلمين من جهة والغرب الصليبي والصهيونية من جهة أخرى في بلاد الله الواسعة ليست إلا صدى للتصادم أو الحوار مع الغرب.

لقد صور الغرب النظام العربي أو الإسلامي المعاصر على أنه يمثل الإسلام في موقفه تجاه قضية فلسطين، فاتخذ إجراءاته من قتل وملاحقة لكل من يتجاوز تصور النظام العربي الإسلامي السائد، واعتبر أن أي صوت عربي أو إسلامي يرى في فلسطين مركز الصراع الكوني بين قوى الإسلام وقوى الغرب والصهيونية هو إرهابي يجب القضاء عليه، ويدرك التصور الغربي إدراكاً أكيداً أن النظام السياسي السائد في بلدان العرب والمسلمين لا يمثل الوجه الإسلامي والموقف الإسلامي الجماهيري الحقيقي تجاه فلسطين، ولذلك يظل الغرب قابلاً راضياً عن الوجه الإسلامي السائد في النظام العربي، لأنه يرى في حل القضية الفلسطينية تأكيد وجود دولة للصهاينة على أرض فلسطين، ودويلة فلسطينية مسخ في بعض أجزاء متفتتة من الضفة الغربية وقطاع غزة، وبمعنى آخر فإن الغرب والنظام العربي السائد يتفقان في الرؤية تجاه فلسطين ويتفقان على بقاء الصهاينة على أرضها.

إن حالة الهوس التي تصورها بيار لافرانس وغيره من الغربيين لا تنطبق على الوجه الرسمي العربي لأن هذا النظام يعيش واقعياً على هامش القضية الفلسطينية، فهو منذ نكبة (1948) استسلم تماماً لتصورات الغرب وسياسة الغرب تجاه المنطقة بل تجاوز ذلك حيث تشظى موقف هذا النظام وطالت شظاياه إقامة العلاقات الرسمية

الدبلوماسية مع المحتلين الصهاينة، وبقيت الشظايا الأخرى عاجزة عن تصور حل جذري لقضية فلسطين يستند إلى رؤية إسلامية حقيقية ليس إلى رؤى قطرية عاجزة عن حماية نفسها في أقل تقدير.

إذن كيف يفهم الصراع العربي الإسلامي مع الصهيونية والكيان الصهيوني في الوطن المحتل؟

ما هو المنظور القرآني للصراع والذي غاب أو غُيّب عن العقلية الغربية وتجاهله العقل العربي الرسمي؟

لقد أصبح معروفاً وراسخاً في أذهاننا أن العقلية الغربية تصب كل قوتها لدعم الكيان اليهودي الصهيوني تدعمه في ادعاءاته الخرافية التوراتية، وفي تصوراته السياسية والعسكرية التوسعية، وهذا أيضاً ما يرسخ مفهوم الصدام الشمولي حول فلسطين، فالصراع ليس مع الاحتلال اليهودي الصهيوني لفلسطين إنما هو صراع بين طرفين كونيين يمثل الطرف الأول التحالف الصهيوني الغربي الأمريكي الذي يرفض الحق العربي الإسلامي في فلسطين، ويمثل الطرف الثاني القوى الجماهيرية العربية التي ترى في فلسطين حقاً عربياً وإسلامياً لا يمكن التنازل عنه، لأن التنازل عنه يعني التنازل عن ركن أساسي من أركان الإسلام.

ولهذا فإن أي مسلم في العالم يرى في فلسطين مركز الصراع الكوني لا بد أن يسعى لمقاومة التصور الصهيوني الغربي المتجاهل لحق المسلمين في فلسطين، وليس الحديث الإسلامي عن فلسطين كمركز للصراع الكوني حديثاً تجارياً عاطفياً، فالذي يتمعن في سورة الإسراء يدرك أن فلسطين ليست قضية تجارية ولا تحتمل أن تكون كذلك، والذين يفهمون المقاصد القرآنية لا بد أن يكونوا في دائرة الطرف المقاوم للمشروع الصهيوني الغربي حتى لو كانوا في أقصى الكرة الأرضية شمالها وجنوبها.

فالمسألة ليست حالة هوس وجنون كما يتصورها الفكر الغربي إنما هي حالة وعي متقدم لمدلول الصراع، وحالة فهم حقيقي لواجب المسلمين تجاه فلسطين، بل هو فهم جوهري لعلاقة راسخة بين المسلمين والأرض المباركة التي خصها الله

سبحانه بذلك، فالقرآن الكريم يخص المسلمين، ومن حق المسلمين أن يروا أن الصراع من أجل فلسطين لا ولن يتوقف عند حدود.

إن أي مسلم في العالم يفهم مقاصد سورة الإسراء يرى أن أي صراع بين المسلمين وقوى الاستكبار العالمي أياً كان نوعها لا ينفصل قطعاً عن الصراع حول فلسطين، بل إن فلسطين في مفهومه هي أساس ميزان الصراع في كافة أرجاء المعمورة، وإذا كان الغرب يحاول أن يحيد الكيان الصهيوني في بعض الأزمات الكونية العالمية كما حدث في أفغانستان والشيشان أو العراق ليظهر حيادية هذا الكيان فإن ذلك ليس إلا محاولة يائسة لفصل الصراع الكوني بين المسلمين وقوى الاستكبار عن قضية فلسطين، فالاعتداء على المسلمين في أي مكان في العالم ليس منفصلاً عما يجري في فلسطين، ولو أمعنا النظر ودققنا في كافة العلاقات الدولية سنجد أن الصهاينة حاضرون بكل قوتهم فيها، بل ومعهم رؤيتهم التوراتية الاستعمارية الغربية تحت شعارات مزيفة وخادعة اعتادوا على ترويجها منذ آلاف السنين وحتى وقتنا الحاضر.

فمقياس العلاقة الحسنة أو السيئة بين الغرب وبين أي دولة في العالم يرتبط بما تقدمه هذه الدولة للكيان الصهيوني بدءاً من الاعتراف، وانتهاء بالخضوع الاقتصادي أو التحالف التكتيكي أو الاستراتيجي.

ولا أدل على ذلك مما يحدث في تركيا وأندونيسيا أو أي دولة عربية فبقدر العلاقة الطيبة بين أي دولة والكيان الصهيوني تكون معاملة الغرب لهذه الدولة طيبة، وبقدر ما تكون العلاقة سيئة سيكون التعامل الغربي سيئاً.

وبهذا المفهوم يمكن لأي مسلم أن يدرك معنى قولنا: إن فلسطين محور الصدام الكوني بين قوى الشر وقوى الحق في العالم، ومهما حاول الغرب أن يصور ما يحدث هنا وهناك بأنه ليس له علاقة بالإسلام وليس له علاقة بالقضية الفلسطينية فلن يستطيع خداع العقول المسلمة التي تستمد موقفها من الموقف القرآني وليس من موقف فلسفة وضعية قابلة للتبدل أو التغيّر، إن مركزية فلسطين في الصدام الحضاري بين المسلمين وبين قوى الصهيونية بكل أشكالها اليهودية وغير اليهودية هي مركزية

قرآنية ثابتة ، وهذا ما لم يفهمه الغرب ولن يفهمه طالما تسيطر عليه خرافة المقولات التوراتية اليهودية ، ولا شك أن الخرافة أحياناً تستهوي بعض العقول والنفوس أكثر من الحقيقة ولو كانت واضحة كالشمس ، وهذه هي مصيبة الغرب الذي وقع في فخ الأساطير ويحتاج ربما لغسيل دماغ ليصحو ويدرك الحقيقة ، إن ما نريد قوله هو أن الإعلام الغربي الذي هو بوق المفكرين والسياسيين الغربيين لا يدرك حقائق الصراع ولا يفهم جوهرها ، وهو بالتالي لن يرى إلا بعين واحدة ، لن يشعر إلاّ بشعور واحد يمتلئ محبة وخوفاً ومحاباةً وتحالفاً مع الصهيونية الشريرة .

ختامٌ وليس خاتمة المطاف

من الذي يفترض صدام الحضارات؟ يبدو أن هذا المصطلح يأتي تغطية على مصطلح آخر هو جوهر التحرك الأمريكي الصهيوني، فهو العدوان على الحضارات، ويظهر مصطلح صراع الحضارات مظلوماً أمام العدوان. . .

فلو نظرنا إلى خريطة العالم السكانية وأردنا أن نعين مناطق الاستهداف الأمريكي، وجدنا أن المسلمين هم سكانها وهم المستهدفون بتحركها العسكري والاقتصادي والثقافي، ويتضح أن الصدام الذي غلفوا لفظه ومعناه ليس سوى عدوان يريد استئصال العقيدة الإسلامية وإبادة معتنقيها.

لقد وجد التحرك الأمريكي في كافة العنصريات الدينية والقومية أنصاراً له يشتركون في هذه الحملة الإرهابية على الإسلام والمسلمين، ووجد هذا التحرك فرصته لتقديم كل وسائل العون المادي والتكنولوجي لكل العنصريات.

في جنوب الفلبين يشارك الجنود الأميركيون الجيش الفلبيني للقضاء على حركة تحرير مورو، في جنوب بورما ترتكب البوذية العسكرية أبشع المجازر بحق مسلمي إقليم أراكان المحاذي لبنغلادش، والأمريكان سعداء بهذه الحملات لأنها تخفف من المسلمين في العالم، في الهند يُحرق المسلمون أحياء في ولاية كوجارات وتنتهك أعراضهم وتدمر منازلهم، وقوات الأمن الهندية تندمج مع الغوغائيين الهندوس فتزيد النار جحيماً، وتجعل القتل إبادة، أما في فلسطين فإن أبشع جريمة عصرية يرتكبها اليهود الصهاينة بإشارة من البيت الأبيض، وقس على ذلك بعض دول أفريقيا وآسيا وغيرها وغيرها.

إذن ليس هو صدام الحضارات، إنما عدوان على الحضارات، بالتحديد عدوان على حضارة الإسلام وقيمها ومثلها، عدوان على ما في نفوس المسلمين وعقولهم من تمسك بالقرآن العظيم، ومن انتماء لعقيدة التوحيد التي حاربت الوثنية والشرك والظلم منذ ظهورها في مكة، وما زالت تحارب الوثنية الجديدة والشرك المعاصر والظلم العنصري الرافض للمساواة بين بني البشر.

وإذا كان المسلمون يبدون ضعفاء لا يمتلكون صنع القرار والتحكم في ثروات بلادهم والتصدي للهيمنة الرأسمالية الاستغلالية، إلا أنهم ما يزالون يمتلكون ما هو أدوم لبقائهم وعزتهم، وهو الإسلام بجوهره القرآني والنبوي، وهذا هو ما يجعل الهجمة الأمريكية الصهيونية والعنصرية تزداد شراسة ووحشية، وهذا هو ما يقصدونه بصراع الحضارات أو صدامها، وهذا الصدام ليس بالمحصلة صدام السلاح أو التكنولوجيا أو صدام الغنى والفقر أو التطور والتخلف، إنه صدام بين نمطين من التفكير، وأسلوبين من أساليب الحياة بل هو صراع بين قيم عقيدية، وتركيبة انحطاطية درج عليها الغرب وتمثلها حتى أصبحت جزءاً من حياته وسلوكه ومعيشته ومعاشه.

إنه لا يروق لهم أن يظل المسلمون بعيداً عن دائرة تركيبتهم، لا يريدون أن تبقى قيم الإسلام عقبة كبرى في طريق تعميمهم للفوضى السلوكية، وهذا هو سبيلهم منذ أربعة عشر قرناً.

يقول تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] فإذا كانوا لا يريدون أن يبقى المسلمون متمسكين بعروتهم الوثقى فلأنهم يدركون تماماً أن حربهم على سبيل الله، ومنهجه هو الهجوم الأول على المسلمين، ولقد ارتضى الله سبحانه لهذه الأمة أن يكون الإسلام منهجها، وهم ليسوا راضين عن ذلك، فكيف إذاً يحاربون المسلمين؟ إنهم يحاربونهم ليقطعوا هذا الرابط بينهم وبين حبل الله ورضاه، واختيار عقيدة الإسلام ديناً وحيداً موحداً.

يقول تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وهذا هو السر الذي يكمن وراء هذا العدوان، كيف يكون الإسلام لهذه الأمة خياراً وحيداً لها؟ وكيف يكون هذا الخيار دستوراً إلهياً وليس فلسفة وضعية؟ ألم توضح هذه المسألة أن الصدام صدام بين الكفر والتوحيد؟ صدام بين المنهج الرباني والكفر الشيطاني؟ وحين نراجع ما قاله المتفلسفون أمثال فوكوياما، وهنتغتون

وغيرهما، نرى أن افتراضاتهم حول الصدام الحضاري متركزة على طرفين أساسيين أحدهما هو الطرف الإسلامي والآخر كما يزعمون هو الطرف المتحضر الحضاري المتمثل بالغرب وقيم الغرب.

لماذا لم يفترضوا أن الصدام الأساسي سيكون مع الصين مثلاً أو روسيا باعتبارهما قوتين عسكريتين كبيرتين وتمتلكان أسلحة دمار شامل بقدر ما تمتلك أمريكا أو الغرب؟ لماذا لم يفترضوا أن الصدام الأساسي هو مع الهند أو اليابان إذا كان المقياس مقياس العدد السكاني في العالم.

فالحقيقة أن مقياس الصدام ليس مقياس العدد السكاني أو مقياس القدرة العسكرية التدميرية! إنما هو مقياس صدام القيم الإنسانية الإسلامية مع الفكر العنصري الرأسمالي الذي يريد سحق شعوب ليسود نمط شعوبٍ آخر اعتبروها متحضرة راقية تستحق الحياة بل وقيادة العالم.

قد يرى بعض المفكرين وعلماء الاقتصاد والمخططين الاستراتيجيين أن أمريكا تريد أن تبقى متحكمة باقتصاد العالم، ببترول الخليج، وبالممرات المائية العالمية المهمة، تريد أن يسود النمط الرأسمالي الأمريكي دون منازع ودون عقبات أو معارضة، ففي هذا المقياس المادي الذي يرونه يتجاهلون جوهر الأهداف الأمريكية الغربية، وجوهر الرأسمالية بل جوهر العولمة، وجوهر أعداء العقيدة الإسلامية أياً كانوا، ومن أي بقعة جغرافية انطلقوا، وفي أي اتجاه تحركوا.

فالشخصية المسلمة بنيت أساساً على قيم افتقدها الآخرون، وهذه القيم رسخها القرآن الكريم والسنة النبوية حتى باتت جزءاً من تركيبة هذه الشخصية إن تخلت عنها أو أهملتها فقدت مبرر وجودها، إن كان وجوداً جسدياً مادياً، أو كان وجوداً روحياً نفسياً معنوياً.

1 ـ ولعل أول هذه القيم الولاء لله سبحانه، ولعل هذا ما يجعل أصحاب العولمة والفكر الغربي يزيدون من وتيرة حملتهم، فكيف يمكن أن يفصلوا المسلمين عن ولائهم لله؟ كيف يمكن أن يحوّلوا الولاء من ولاء لله إلى ولاء لأمريكا وللرأسمالية العالمية والعولمة؟

فهم يدركون أن هذا لن يتم إلا إذا كانت الحملة طويلة الأمد، وذات أساليب كثيرة ومتنوعة، ولكنها في كل الأحوال ستستمر على الشخصية الإسلامية لأن الولاء لله هو جوهر بقاء الشخصية المسلمة، وجوهر اعتزازها وعزتها، وهم لا يريدون أولاً أن تبقى هذه الشخصية عزيزة كريمة.

ولا شك أن تحويل ولاء المسلم يعني بالضبط إذلاله، والإذلال مسألة نفسية تؤدي بصاحبها إلى فقدان التوازن والصمت والقبول بما يفرض عليه دون احتجاج أو معارضة، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 119].

ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 139].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: 113].

2ـ وثاني هذه القيم الإرادة الحرة، والإرادة أيضاً عامل نفسي مهم في تكوين الشخصية وسلوكها وتصرفاتها على كافة المستويات، ومن دواعيها أن تكون الشخصية حرة في اختيار قرارها النابع من مصلحتها، ومصلحة الأمة الإسلامية، وأن الهجمة العدوانية الأمريكية الغربية تريد المسلم بلا إرادة أي: بلا حرية في اتخاذ القرار فقد لجأت إلى تحطيم هذه الإرادة من خلال استخدام العنف وأرهب وأشرس أنواع الهجوم على الأمة الإسلامية.

ولعل ما حدث في فلسطين وتحديداً في مخيم جنين وباقي المخيمات الفلسطينية واضح على أن تنفيذ مثل هذه المجازر وهذا التدمير، كان يُقصد من ورائه تدمير إرادة المسلمين تدميراً كاملاً وليس فقط تدمير ما يسمى البنية التحتية من مؤسسات ومتاجر وكهرباء ومياه وما إلى ذلك.

ولعل ما فعلته القوات الأمريكية في أفغانستان دليل على نية أعداء الأمة ضرب الإرادة المسلمة فتحطيمها يعني التخلص من عامل مهم جداً داعمٍ للشخصية العربية وداعم للثقة بالبقاء والوجود مع الحفاظ على الكرامة والعزة.

ولعل أصحاب نظرية التصادم (العدوان) يدركون أن تلك العوامل النفسية الإيمانية في الشخصية المسلمة هي التي تصنع الموقف الثابت، حتى وإن حاولت أنظمة الحكم القائمة تغيير العوامل من عوامل إيجابية إلى أخرى سلبية، أو حتى لو حرفت مسارها عن الطريق الصحيح الذي رسمه لها القرآن الكريم وكذلك سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقد وصف القرآن الكريم بدقة متناهية طرق وأساليب أعداء الأمة التي تريد من ورائها زعزعة الإرادة وإضعافها فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[آل عمران: 118 ـ ذ20]

فهذه الآيات الثلاث يأمر بها الله سبحانه ألا يُتخذ من أعداء الأمة أناس تؤمن لديهم أسرار المسلمين لأن هؤلاء لا يقصرون في الفساد ولا يتوانون عن إيصال الضرر لأبناء الأمة، إنهم يتمنون إلحاق الضرر بهم، لقد ظهرت العداوة على أفواههم لأنهم لا يتمالكون الإخفاء لفرط عداوتهم، وفي صدورهم ما هو أكبر وأعظم، وبعض المسلمين يخطئون بحبهم لأعداء الأمة الذين لا يؤمنون بالإسلام ورسالته، وهؤلاء الأعداء يظهرون المحبة إذا واجهوا بعض المسلمين وتحدثوا إليهم وإذا انفردوا أظهروا من الحقد والغيظ ما يجعلهم يعضون على أصابعهم.

ونصل إلى الآية الثالثة التي أوردناها لنجد أنها تركز على الجانب النفسي أيّما تركيز وتُبرز مفهوم الإرادة من خلال عدة ملامح نفسية.

فالملمح الأول يقول: إنْ يصبْكم خير فإنهم يستاؤون، وإن يصبكم شر يفرحوا، ويخاطب الله سبحانه المؤمنين قائلاً: إن تصبروا وتحجموا عن موالاتهم التي حرمها الله عليكم فإنهم لن يضروكم بشيء ولن يضركم كيدهم ونفاقهم.

فأصحاب الصدام الحضاري (العدوان) لا يريدون أن يمتلك المسلمون إرادتهم ويصبروا، بل يريدون أن تفقد الإرادة صبرها فيتنازل المسلم عن مبادئه وعن أوامر ربه وينصاع لأعداء الأمة.

إن تدمير الإرادة الإسلامية يحقق النجاح الأمثل لحمْلة الصدام الحضاري حسب وجهة النظر العولمية الرأسمالية، وتدميرها يعني أن يكون من السهل على المسلمين أن يقلدوا الغرب وماديته.

ويعني أن يصبحوا منقادين لإرادة الأعداء، وعندها لن يكون غريباً أن يلحق المسلمون أعداءهم مقلدين منصاعين حتى لو دخل الأعداء جحر ضب لدخله المسلمون لأنهم ساعتئذ سيكونون بلا إرادة تحميهم ولا حصن يحصّنهم.

3 - وثالث هذه القيم الفاعلية في الحركة الكونية: فعند دراستنا لوقائع التاريخ منذ البعثة وحتى الآن تمتع المسلمون بفاعلية على الحركة في كل أرجاء الأرض، وهذه الفاعلية ظلت وما تزال تنجح في نشر الدعوة بين الشعوب.

وبدا أن الإسلام على عكس العقائد الأخرى قادر على استقطاب أبناء الأمم لأنه يدعوهم إلى العقيدة ليخلصهم من وثنية البشر وسلوك الحيوان دون أن يطلب منهم مقابلاً أو يضع في حسابه المنفعة الدنيوية المنقطعة الصلة بالمنفعة الدينية المعنوية والأخروية.

ولعل ما يميز فاعلية الإسلام المرونة في الحركة الدعوية، وهذه المرونة هي أحد أهم العوامل في استقطاب الكثير من أبناء أوروبا وأمريكا إلى الإسلام، فأصحاب الصدام الحضاري (العدوان) لا يروق لهم أن يروا العقيدة الإسلامية تنتشر في صفوف الأوربيين والآسيويين والأفارقة انتشاراً سليماً واعياً، فكان لا بد من

التخطيط لضرب هذه الفاعلية والمرونة المسلمة، وحتى تنجح دعوة الصدام ألبسوا هذه الفاعلية لباساً آخر أطلقوا عليه الإرهاب تارة، والأصولية تارة أخرى، والتزمت تارة ثالثة، ومعاداة السامية تارة رابعة.

ولعل أخطر ما أشاعوه لضرب هذه الفاعلية الأنانية والانسحاب من الحركة حتى بات الكثيرون من المسلمين في حل من الإحساس بالآخر وصار شعار الفرد التخلص من مسؤولية الأخوة والتكاتف الاجتماعي والتصدي الجماعي للمحن الفردية والاجتماعية الجمعية ويصبح هدف أصحاب نظرية الصدام خَلْقَ فردٍ مسلمٍ مهتمٍ بفرديته وهمومه وطموحاته الشخصية فحسب، كل فرد يظن نفسه محور الوجود بعيداً عن التفكير في بناء اجتماعي جمعي تكون غايته الكلّ وليس الفرد المنفصل نفسياً ومادياً وفكرياً.

وفي كل الأحوال فإن الغرب وعلى رأسه أمريكا هو الذي فرض ما يسمى صدام الحضارات وليس المسلمون أو العرب.

وعليه فإن الأمر الطبيعي أن يتصدى العرب والمسلمون لهذا العدوان الغربي على حضارتهم وقيمهم تاريخهم وعقيدتهم.

وإذا كان بعضنا يرى أن التصادم سيؤدي إلى خسارتنا إن عاجلاً أو آجلاً باعتبار أننا لا نملك قوة عسكرية أو تكنولوجية مماثلة للقوة العسكرية والتكنولوجية الغربية فإن رؤيتنا نحن كبعض آخر من أمتنا تحتم علينا أن نبعد من هويتنا العربية والمسلمة أزمة فُرضت علينا، فهويتنا وصونها والحفاظ عليها مهام علينا أن نعمل فيها ونسعى لتحقيقها وتحقيق أهدافها وغاياتها.

هوية تقابل هوية أولاً، أما الأمر الثاني فإن تحقيق الحفاظ على الهوية لا يأتي دون التمسك بالثوابت العقيدية والتاريخية والدور الذي رسمه لنا رب العالمين كأمة مسلمة موحدة مكلفة بالدفاع عن حقها في الوجود والدور، منذ النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحتى خاتم الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإلى أن يرث الله الأرض ما عليها.

المؤلف في سطور

حسن مصطفى الباش مواليد فلسطين بتاريخ 24/ 11/ 1947 . خرج مع أهله إلى دمشق أيام النكبة الأولى عام 1948 . وكان عمره خمسة أشهر ونصف . درس المراحل الدراسية جميعها في مدارس وكالة الغوث وثانويات دمشق وتخرج من جامعة دمشق قسم الآداب اللغة العربية عام 1973 . عمل بالتدريس مدة خمسة عشر عاماً بدأ حياته الصحفية والبحثية منذ عام 1975 .

أكمل دراساته العليا فحصل على الماجستير في مقارنة الأديان . وكان كتابه القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان من ثلاثة أجزاء بحث الرسالة . وذلك من جامعة الدراسات الإسلامية في باكستان فرع القاهرة عام 2001 .

حصل على رسالة الدكتوراة وهي في مقارنة الأديان وكان كتابه العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل بحث الرسالة من جامعة الدراسات الإسلامية في باكستان فرع القاهرة مدرّس لمادة مقارنة الأديان في كلية الدعوة الإسلامية فرع دمشق . عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين عضو اتحاد الكتاب العرب لجنة الدراسات والبحوث منذ عام 1986 . شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية . في الجمهورية العربية السورية . وليبيا وتشاد وسيرالانكا وإيران والعراق ولبنان .

إصدارات المؤلف :

في الشعر :

1 ـ من الجرح يبتدئ البرق مجموعة شعرية اتحاد الكتاب العرب عام 1977 .

2 ـ مسافر وزادي معي مجموعة شعرية اتحاد الكتاب العرب عام 1983 .

في التراث الشعبي:

1 ـ الأغنية الشعبية الفلسطينية دراسة ط1 1977 ، ط2 1986 دار الجليل دمشق .

2 ـ أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي دراسة ط1 1984 ـ ط2 1985 دار الجليل دمشق .

3 ـ المعتقدات الشعبية في التراث العربي بالاشتراك مع محمد توفيق السهيلي دراسة ط1 دار الجليل دمشق 1986 .

4 ـ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي دراسة دار الجليل دمشق 1987 .

5 ـ البيت الشعبي الفلسطيني دراسة مختصرة درا المبتدأ دمشق 1989 .

6 ـ العرس الفلسطيني دراسة موجزة دار المبتدأ دمشق 1992 .

في الصراع العربي الصهيوني:

1 ـ الفكرة الصهيونية والأدب العنصري دار الإمام البخاري دمشق 1978 .

2 ـ بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير دراسة دار قتيبة دمشق 1990 .

3 ـ التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال دراسة دار قتيبة دمشق 1990 .

4 ـ العقائد الوثنية في الديانة اليهودية دراسة دار قتيبة دمشق 1991 .

دراسات إسلامية:

1 ـ موقف الإسلام من السحر والخرافة دار حطين دمشق 1993 .

2 ـ منهج الجهاد القرآني دار ميّ للدراسات بيروت 1991 .

3 ـ زحف العنصرية ومواجهة الإسلام دراسة دار قتيبة دمشق 1997 .

4 ـ عز الدين القسام شيخ المجاهدين دراسة مختصرة درا المبتدأ 1993 .

5 ـ الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع دار ذي قار لندن 1995 .

6 ـ القرآن وحوار العقل جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1996 .

7 ـ الإنسان في ميزان القرآن دراسة تربوية جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا طرابلس 1990 .

8 ـ مولد محمد مفتاح التاريخ الإسلامي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا 1996 .

9 ـ ختم النبوة وآفاق المشروع الحضاري الإسلامي جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 2000 .

في مقارنة الأديان:

1 ـ حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1997 .

2 ـ القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ثلاثة أجزاء دار قتيبة ط1 1999 ـ ط2 2001 .

3 ـ القدس بين رؤيتين دراسة مقارنة دار قتيبة دمشق 1998 .

4 ـ العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ج1 ـ ج2 دار قتيبة 2000 ـ 2001 .

5 ـ عبدة الشيطان وحركات انحرافية أخرى دار قتيبة دمشق 2001 .

دراسات حول القدس:

1 ـ القدس في ظل الدولة الإسلامية القيادة الشعبية الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا 2001 .

2 ـ مكانة القدس في القرآن الكريم والسنة النبوية القيادة الشعبية الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا 2001 .

3 ـ القدس بين مشروعية الجهاد والخضوع لأعداء الإسلام القيادة الشعبية العالمية طرابلس ليبيا 2001 .

الفهرس

الإهداء ٥
المقدمة: أي صدام... أي حوار ٧
الفصل الأول ١٣
وقفة مع الهوية ١٥
حوار الثقافات... حوار الحضارات... مبادئ أولية ١٩
وقفة أخرى عند هوية أخرى ٢٤
القوة والحضارة ٣٠
كيف نتعامل مع التاريخ ونحن نطرح مفهوم الحوار ٣٤
كيف يرى الغربيون التعامل مع التاريخ ٤٠
الفصل الثاني ٤٥
هل يصبح حوار الأديان في خدمة الصهيونية ٤٧
حوار الأديان الهيكل على أنقاض الأقصى ٥١
الصهيونية وحوار الحضارات ٥٥
ما بعد الصهيونية والحوار بين الشعوب ٦٠
الصمت الغربي عن العنصرية الصهيونية أحد مقومات الحوار بين الشعوب ٦٤
الإبادة في ظل الحملة الأمريكية أحد معوقات الحوار بين الشعوب ٦٩
حوار الحضارات والجوع في أفريقيا ٧٢
الفصل الثالث: ٧٧
الغرب والإسلام.. شروط الحوار ومعوقاته ٧٩
هل هناك إمكانية للحوار بين الإسلام والغرب؟ ٨٣
الحملة الفكرية المعادية للإسلام والمسلمين ٨٤
الإسلام والأصولية ٨٥
بدعة اللاسامية في وجه الحوار بين الشعوب ٨٨
ما دواعي الحرب الصليبية الجديدة وأسبابها؟ ٩٣
كيف نحدد مفهوم الإرهاب حتى نفتح آفاق الحوار بين الشعوب ٩٨
الإرهاب والقوانين الدولية ١٠١
لماذا ندعوة لمؤتمر دول لمكافحة الإرهاب ١٠٤

هجوم أمريكي غربي على الإسلام بدل الحوار ١٠٥
الفصل الرابع.. ١١٧
العالمية والعولمة ١١٩
العالمية في القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية........................ ١٢٣
العولمة وتخفيض عدد سكان الدول الفقيرة........................... ١٢٦
سيادة الثقافة الواحدة.. ١٣٠
الصهيونية والعالمية ١٣٤
نموذج عالمي تربوي أمريكي ١٤٠
العولمة إنجاز الحكومة الماسونية العالمية ١٤٧
طوائف خلاصية تحكم بنهاية العالم بسبب العولمة.................. ١٥٢
مؤتمر الألفية العالمي، هل يتخلى العقل العنصري عن فوقيته؟ ١٦١
أمريكا بعد ١١ أيلول تغير أم تطور؟ ١٦٦
الفصل الخامس ١٧٥
مفهوم الموت.. ١٧٨
مفهوم الرعب.. ١٨٤
مفهوم التبرير الديني للإجرام المرضي ١٩٠
مفهوم القوانين التوارتية والتطبيق الناري لجيش صهيون ١٩٥
مفهوم أرض الميعاد في مواجهة حق العودة ٢٠١
الفصل السادس... ٢١٣
استراتيجية الإعلام الصهيوني ٢١٥
الإعلام الصهيوني والدور الإرهابي في أمريكا والغرب.................. ٢٢٤
الإعلام وإشكالية المصطلح في صدام الحضارات ٢٢٩
الإعلام العربي والقضية الفلسطينية ٢٤٠
كيف يفهم الإعلام الغربي العلاقة بين العرب والمسلمين وفلسطين؟........... ٢٥١
ختام وليس خاتمة المطاف ٢٦١